
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الرصاصة الأخيرة

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ لقاء الشرّ ..

اكتظ مطار (روما) بالحركة ، إثر وصول إحدى الطائرات القادمة إليه ، من منطقة الشرق الأوسط ، ونشط رجال الجوازات والجمارك الإيطاليين ، لإنهاء إجراءات الركاب ، ووسط كل هذا الخضمّ من الحركة ، توقفت فتاة بارعة الحسن ، نادرة الجمال ، تتلفّت حولها فى هدوء ، وهى تنفث دخان سيجارة ملوّنة رفيعة ، استقرت فى أناقة بين سبّابتها ووسطاها ، وهى ترفعها ما بين لحظة وأخرى ، لتدسّها بين شفتيها الجميلتين ، فى هدوء ، وثقة ..

كانت تلك الفتاة بلا مبالغة ــ محط أنظار روّاد المطار جميعهم ، ونستطيع أن نقول إن جمالها الفتّان ، وعينيها الناعستين ، قد ساعداها على إنهاء إجراءاتها فى سرعة ، ومغادرة المنطقة الجمركية إلى ساحة المطار ، حيث دارت بعينيها فى أرجاء المكان ، وكأنها تبحث عن شخص ما ..

لم يطل بحثها ؛ إذ تقدّم إليها رجل ضخم الجثة ، عريض الصدر والمنكبين ، له أنف أفطس ، وذقن عريضة ، وعينان ضيقتان متقاربتان ..

كان ذلك التناقض الواضح بين جمالها الصارخ ، ودمامته الواضحة مثار انتباه الجميع ، إلا أن أحدهم لم يستمع إلى تلك العبارة ، التي نطق بها الرجل في صوت خافت أجش :

— إيطاليا ترحّب بالزائرين يا سنيوريتا .

رفعت الفتاة عينيها إليه في هدوء ، وأجابت بإيطالية سليمة :

— وخاصة من جاء من الشرق الأوسط .

ابتسم الرجل ابتسامة كشفت عن صفّ من أسنان ضخمة ، غير منتظمة ، وأجاب :

— ليس كلهم يا سنيوريتا .

لو أن أحد المحترفين استمع إلى هذا الحوار ، لأيقن على الفور أنه من الحديث الشفرى ، الذى يساعد طرفين لم يلتقيا من قبل ، على أن يُوقن كل منهما من شخصية الآخر ، ولن يدهشه بعد ذلك أن استدار الرجل الضخم ، واتجه من فوره إلى سيارة حمراء أنيقة ، واتخذ مقعد السائق ، في حين تبعته الحسناء في هدوء ، وبدون تبادل كلمة أخرى زائدة ، وانتظرت حتى وضع أحد العاملين حقائبها في السيارة ، ثم منحته كمية من الليرات الإيطالية ، جعلته ينحنى لها في احترام شديد ، ويسرع لفتح باب السيارة ، حيث استقرت هى في

المقعد الخلفى ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وقالت للرجل ، وهو ينطلق بالسيارة :

— هل أصبح (جروشو) الأب الروحى الجديد لكم ؟

أجابها الرجل ، وهو يُولى الطريق اهتمامه :

— لا يا سنيوريتا .. (دون كارلو) هو الزعيم الحقيقى لـ (المافيا) ، ولكن سنيور (جروشو) هو الرأس المحرّك لها .

ابتسمت الفتاة في سخرية ، وقالت :

— تبًا لعنتكم هذا يا رجال (المافيا) .. أنتم تعلمون أن (دون كارلو) لا يصلح لقيادة المنظمة ، وأن (جروشو مانيانى) هو الزعيم الحقيقى ، ولكنكم تصرُّون على الاحتفاظ بالزعامة ، ولو صوريًا ، لعائلة (دون ريكاردو) .

هزّ الرجل كتفيه في لامبالاة ، وغمغم :

— ليس هذا من شأنى يا سنيوريتا .

تأمّلت ملامحه الغليظة لحظة ، في مرآة السيارة ، ثم هزّت كتفيها بدورها ، واستغرقت مع أنفاس سيجارتها ، والسيارة تقطع بها شوارع (روما) المزدحمة ، حتى توقّفت أخيرًا في ضاحية هادئة ، أمام قصر ضخم أنيق ، وأخرج السائق رأسه الكبير من نافذة السيارة ، وقال في خشونة ، موجّهًا حديثه إلى رجلين في مثل ضخامته :

— السنيوريتا التى ينتظرها السنيور (جروشو) .

فتح الرجلان بوابة القصر ، واندفعت السيارة ، وسط حديقة ضخمة ، حتى توقفت مرّة أخرى أمام باب القصر ، حيث استقبلها رجلان ، كان أحدهما (جروشو ماتيانى) وهو وسيم الملامح ، ممشوق القامة ، بنىّ الشعر ، له عينان خضراوان ، وشارب أنيق ، والآخر (دون كارلو) ، قصير القامة ، واسع الفم ، ضيّق العينين ، عريض الجبهة ، مجعّد الشعر كثيفه ..

هبطت الفتاة من السيارة فى عظمة ، ولاحظت ذلك الانبهار ، الذى بدا واضحًا فى ملامح (دون كارلو) ، ولكنها تجاهلته ، وهى تمدّ يدها إلى (جروشو) ، قائلةً :

— هاقد التقينا مرّة أخرى يا سنيور (جروشو) .

أزاح (جروشو) خصلة ذهبية ناعمة من شعره ، ومدّ يده الأخرى يصافحها فى هدوء ، وهو يقول :

— تسعدنى رؤيتك دائمًا يا سنيوريتا .

أسرع (دون كارلو) يلتقط كفّ الحسناء ، وانحنى يقبّلها فى رشاقة ، ثم رفع عينيه إلى وجهها الفاتن ، وابتسامتها العذبة ، وهو يقول فى هيام :

— من ذا الذى لا تسعده مقابلة فاتنة مثلك يا سنيوريتا .. ؟

ابتسمت ، وهى تقول فى هدوء ، وثقة :

— اسمى (سونيا) يا (دون كارلو) .. (سونيا جراهام) .

* * *

وقف (جروشو ماتيانى) يجرع كأسه ، فى حجرة المكتب الفاخرة بالقصر ، ويتطلع فى هدوء إلى (دون كارلو) ، الذى بدا كشاب مراهق ، وهو يُولى (سونيا) اهتمامًا زائدًا ، وكأنما أسره جمالها الساحر .. ثم لم يلبث (جروشو) أن شعر بالضجر ، من هذا الأسلوب الممجوج ، الذى يتحدث به (دون كارلو) ، فقال فى هدوء :

— أما زلت تتساءلين عن سبب طلبنا لك بالذات ، من وسط أفراد (الموساد) يا عزيزتى (سونيا) ؟

أدارت (سونيا) عينيها العسليتين إليه ، وقالت فى برود :

— إننى أنتظر الجواب يا سنيور (جروشو) .

ضاقت عينا (جروشو) ، وهو يقول فى بطء .

— الجواب هو عدوّنا المشترك (أدهم صبرى) يا (سونيا) .

برقت عينا (سونيا) ببريق شرس ، وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة وحشية ، أنبأت عن طبيعتها الحقّة ، وهى تغمغم:

ـــ (أدهم صبرى) ؟!.. وما شأنك به يا (جروشو) ؟

جرع (جروشو) ما تبقى من كأسه دفعة واحدة، وأجاب:

ـــ كيف تسألين هذا السؤال يا (سونيا) ؟.. لقد تلقَّى كل منَّا هزيمة نكراء ، على يد ضابط المخابرات المصرى الشيطان هذا فى (لاريدو) (*) ، وتسبَّب فى مقتل زعيمى (دون ريكاردو) ، وفى إبعادك عن الولايات المتحدة لفترة طويلة .

غمغمت (سونيا) فى حنق :

ـــ هل تظننى أنسى هذا يا (جروشو) ؟

لوَّح (جروشو) بقبضته ، وقال :

ـــ لقد أقسمت أنا ، أمام جثة (دون ريكاردو) ، أن أنتقم من ذلك الشيطان يا (سونيا) ، ولو كان ذلك آخر ما أفعله فى حياتى .

ثم أردف ، وهو يحاول استعادة هدوئه :

ـــ ولقد أعددت خطَّة مُحْكمة ، لا تقبل الفشل .

سألته (سونيا) فى عصبيَّة ، وكأنها تضيق بمحاولة غيرها النيل من (أدهم) :

(*) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المغامرة رقم (١٩) .

ـــ وما شأنى أنا إذن ؟

ابتسم (جروشو) ، وهو يقول :

ـــ أنت أكثر من يعرف (أدهم صبرى) يا عزيزتى .. وستعاوننا معرفتك به كثيرًا فى القضاء عليه .

بدت عينا (سونيا) باردتين كالثلج ، وهى تقول :

ـــ لا تتوقَّع أن تحصل منِّى على معلومة واحدة ، قبل أن أعرف خطَّتك بالتفصيل يا (جروشو) .

ابتسم (جروشو) ، وقال :

ـــ هذا ما توقَّعته يا (سونيا) .

ثم أخذ يصب لنفسه كأسًا أخرى ، وهو يقول :

ـــ أنت تعرفين طبعًا أن الشقيق الوحيد لـ (أدهم صبرى) ، هو الدكتـــــور (أحمد صبرى) ، جرَّاح المخ والأعصاب الشهير ، والذى استضافته جامعة (روما) أخيرًا ، لإلقاء عدة محاضرات بها .

غمغمت (سونيا) فى هدوء :

ـــ أعلم ذلك .

ثم أردفت فى سخرية :

ـــ هل تنوى اختطافه مرَّة ثانية (*) ؟

(*) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

ابتسم (جروشو) في دهاء ، وقال :

ـــ لن نحتاج إلى ذلك يا (سونيا) .

ثم أردف وابتسامته تزداد اتساعاً ، وخبثاً :

ـــ سيأتي الصيد بنفسه إلى هنا ، ولن يكون علينا إلا اصطياده .

* * *



٢ ـــ الفريسة ..

هتف (قدري) البدين ، رئيس قسم التزييف بإدارة المخابرات العامة المصرية ، وهو يقتحم حجرة (أدهم) بالإدارة :

ـــ هل قرأت الخبر المنشور عن شقيقك ، في جرائد الصباح يا (أدهم) ؟

التفت (أدهم صبري) ، و (منى توفيق) إلى (قدري) ، وابتسما ، في حين واصل هو حديثه الحماسي :

ـــ ستقيم له جامعة (روما) حفلاً خاصاً .. وستمنحه فيه أكبر وسام علمي في إيطاليا كلها .. هذا رائع يا (أدهم) .. إنه فخر لكل مصري .

ضحكت (منى) لأسلوب (قدري) ، في حين قال (أدهم) في هدوء :

ـــ أعلم ذلك يا (قدري) .

هتف (قدري) ضاحكاً ، وهو يقلّد أسلوب (أدهم) :

— يالك من رجل !! أعلم ذلك يا (قدرى) .. هذه العبارة لا تكفى يا صديقى ، لابدّ أن نرسل له تهنئة خاصة .

ابتسم (أدهم) فى خبث ، وقال :

— لدىّ ما هو أفضل يا صديقى البدين .

ثم أردف فى هدوء :

— سأحضر الحفل بنفسى .

زفرت (منى) فى ضيق ، فى حين اتسعت عينا (قدرى) دهشةً ، وهتف :

— تحضر الحفل ؟!.. هل جُننت ؟.. إيطاليا بالذات محظورة عليك يا (أدهم) .. فكل وغد من رجال (المافيا) هناك يحفظ صورتك عن ظهر قلب ، وهم يحلمون ليل نهار بالتخلص منك .

قالت (منى) :

— هذا ما أحاول إقناعه به منذ ساعة كاملة .

لوّح (أدهم) بكفه فى لامبالاة ، وقال :

— لقد دعانى (أحمد) لحضور حفل حصوله على الوسام ، ولن أتردّد فى تلبية دعوته .

هتف (قدرى) :

— و (المافيا) ؟!

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

— اطمئن يا صديقى ، سأذهب متنكّرًا ، ولن ينجح أحدهم فى تعرّفى .

ثم أردف فى مرح :

— ولقد حصلت على إجازة خاصة لهذا الغرض .

ساد الصمت لحظة ، ثم هتف (قدرى) :

— فى هذه الحالة سأرافقك إلى هناك .

صاحت (منى) فى حزم :

— وأنا أيضًا .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— لست أرى داعيًا لذلك .

قال (قدرى) فى عناد :

— إننى لم أحصل على إجازة منذ زمن طويل ، وهذه فرصة مثالية .

قالت (منى) :

— وأنا أيضًا .

عاد الصمت يخيّم لحظة ، ثم هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— حسنًا .. مادمتما تريدان ذلك .
فى تلك اللحظة اشترك صوت جديد فى الحوار ، يقول :
— أنا أيضًا سأرافقك يا (أدهم) .
أدار الجميع عيونهم إلى مصدر الصوت ، ثم ضحك (أدهم) فى مرح ، وقال :
— مرحبًا بك ياصديقى (حازم) ، ولكن هذا سيذكّرنى برحلات الجامعة .
ابتسم (حازم) فى هدوء ، وقال :
— لن تكون رحلة بالنسبة لى أنا .
ثم اكتست ملامحه بالجدّية ، وهو يردف :
— لقد كلفنى السيد المدير مرافقتك لحمايتك .
غمغم (أدهم) فى دهشة :
— حمايتى ؟!
هزّ (حازم) كتفيه ، وقال :
— إنها أوامر المدير .
أطلق (أدهم) ضحكة مرحة عالية ، وقال :
— سيكون ذلك ممتعًا يا رفاق ، فلأول مرّة فى حياتى سأسافر تحت الحماية .

ثم أردف فى تخابث :
— وأعتقد أنها ستكون رحلة مثيرة .

* * *

جلست (سونيا جراهام) فى ثوب استحمام أنيق ، فوق مقعد من القماش ، أمام حوض السباحة الخاص فى قصر (دون كارلو) ، وابتسمت فى سخرية ، وهى تستمع فى لامبالاة إلى عبارات الغزل ، التى يلقيها على مسامعها (دون كارلو) ، كمراهق صغير ، حتى اقترب منها (جروشو) ، وقال فى هدوء :
— أعتقد أن حفل الصيد سيبدأ عما قريب يا (سونيا) .
التفتت إليه ، وسألته فى اهتمام :
— هل وصلت الفريسة ؟
مطّ شفتيه ، وقال :
— لست أدرى .. ولكن الطائرة التى وصلت منذ قليل من القاهرة ، كانت تضم أربعة أشخاص ، تعرّف أحد رجالنا على الفتاة الوحيدة بينهم ، وهو يؤكد أنها رفيقة ذلك الشيطان المصرى .
نهضت (سونيا) فى انفعال ، وقالت :

— إنه يصاحبها ولاشك .. لابد أن أراهم يا (جروشو) .

التقط (جروشو) من سترته عددًا من الصور الفوتوغرافية ، ناولها إياها ، وهو يقول :

— لقد توقّعت ذلك يا (سونيا) ، فأمرت رجالى بالتقاط بعض الصور و ....

اختطفت (سونيا) الصور من يده ، وتأمّلتها فى لهفة ، وهى تقول :

— نعم .. إنها رفيقته الدائمة ، وهذا الوسيم ضابط مخابرات مصرى ، يدعى (حازم عبد الله) .. أما البدين فهو (قدرى) .. أبرع مزوِّرى العالم على الإطلاق ، ونحن نحسد المخابرات المصرية عليه .

ثم برقت عيناها ، وهى تشير إلى الرابع ، قائلة :

— أما هذا الأشقر ذو اللّحية ، فهو (أدهم صبرى) ولاشك .

تأمّل (دون كارلو) صورة الأشقر ، وغمغم فى شك :

— معذرة ياعزيزتى (سونيا) ، ولكنه لايشبه صورة (أدهم) هذا قط .

قالت (سونيا) فى عصبيّة :

— صه يا (دون كارلو) .. إننى أتعرّف (أدهم صبرى) ، مهما بلغ إتقان تنكُّره .

غمغم (جروشو) فى هدوء ، وكأنه يشرح الأمر لـ (دون كارلو) :

— هذا الرجل أستاذ فى فن التنكُّر يا (دون) .

هزّ (دون كارلو) كتفيه ، وغمغم فى استسلام :

— حسنًا .. مادمتما تؤكدان ذلك .

أعادت (سونيا) الصور إلى (جروشو) ، وهى تغمغم :

— إذن فقد جاء (أدهم) بفريقه كله هذه المرّة .

أومأ (جروشو) برأسه ، وقال :

— هذا يخالف ماتوقّعنا يا (سونيا) .. فمنذ عرفنا بأمر الدعوة ، التى أرسلها إليه شقيقه ، ونحن متأكدون تمامًا من قدومه متنكّرًا ، ولكننا لم نتوقّع حفنة من رجال المخابرات المصرية .

ابتسمت (سونيا) ابتسامة شرسة ، لاتناسب ملامحها الرقيقة الجميلة ، وهى تقول فى هدوء مخيف :

— أعتقد أن ذلك سيجعلنا نبدّل الخطّة قليلاً يا (جروشو) .

عقد (جروشو) حاجبيه ، وهو يسألها فى قلق :

— ماذا تعنين يا (سونيا) ؟

أجابته فى هدوء :

— أعنى أننا لن نقدم على قتل (أدهم صبرى) مباشرة ، بل سنلهو بتعذيبه قليلاً .

شعر (دون كارلو) بالخوف من (سونيا) ، وهى تتحدث بهذا الأسلوب ، فى حين غمغم (جروشو) :

— لم أفهم بعد .

ضحكت (سونيا) فى عصبيّة ، وقالت :

— لقد كنا قد أعددنا له أسلوب (صيد الأسود) ، الذى يعتمد على إصابة الفريسة بغتة ، وبقوة .. أما الآن فيحلو لى أن أمارس معه أسلوب (صيد الثعالب) ، الذى يقوم على إنهاك الفريسة أوّلاً .

جاء دور (دون كارلو) هذه المرة ليسأل :

— ماذا تعنين ؟

أجابته فى هدوء :

— أعنى أننى لن أقتل (أدهم صبرى) ، قبل أن أطيح برفاقه كلهم .

ثم أردفت فى قسوة :

— كلهم .

* * *

٣ ـ الضحيّة الأولى ..

صاح الدكتور (أحمد صبرى) فى مرح ، وهو يصافح شقيقه (أدهم) :

— (أدهم) !!.. كيف حالك يا شقيقى العزيز ؟.. هل تعلم أننى لم أكن لأعرفك لولا صوتك ؟.. لقد كدت أنسى ملامحك الأصلية يا عزيزى .

صافح (أدهم) أخاه فى حرارة ، وهو يقول :

— كيف حالك أنت يا (أحمد) .. لقد أوحشتنى كثيرًا يا شقيقى الوحيد

استدار الدكتور (أحمد) إلى رفاق (أدهم) الثلاثة ، وقال فى مرح :

— حاولوا أن تمنعوه من التهوّر هذه المرّة يا سادة .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

— هذا ما نسعى إليه يا دكتور (أحمد) .

ثم دارت بعينيها فى أنحاء الجناح الفاخر ، قبل أن تردف :



رصاصة اخترقت زجاج نافذة الجناح الفاخر بغتة ،
وأصابت كفّه ، التي يلوّح بها في الهواء ..

— يبدو أنهم يحيطونك برعاية فائقة يا دكتور (أحمد) .

ضحك الدكتور (أحمد) ، وهو يقول :

— لا تجعل هذا يخدعك يا عزيزتي .. إنني أدفع نفقات الإقامة من جيبي الخاص .

حاولت (منى) أن تقدّر قيمة استئجار مثل هذا الجناح الفاخر ، في أرقى فنادق (روما) ، ثم لم تجد أمامها سوى أن تغمغم في انبهار :

— يا إلهي !! .

أطلق (قدري) ضحكة مرحة مجلجلة كعادته ، وهتف وهو يلوّح بكفّه في الهواء :

— دعينا من الأثاث الفاخر يا عزيزتي .. المهم أن تكون وجبات الطعام هنا دسمة بما يكفي .. فأنا أتضوّر جوعًا ، وتطالب معدتي بـ ....

لم يكمل (قدري) عبارته ..

لم يكملها لسبب قوي ، دفعه لإيصالها بصرخة ألم قويّة ..

وكان هذا السبب هو رصاصة ..

رصاصة اخترقت زجاج نافذة الجناح الفاخر بغتة ، وأصابت كفّه ، التي يلوّح بها في الهواء ..

رصاصة غادرة ، أعلنت بدء عملية الصيد ..

صيد الثعالب ..

صرخ (قدرى) ، وكفه تتهشم إثر الرصاصة ، وصرخت (منى) حينما تناثرت الدماء من كف (قدرى) المحطمة على وجهها ، وتراجع الدكتور (أحمد) فى ذهول ، وانتزع (حازم) مسدسه ، واستدار فى سرعة يواجه النافذة المحطمة .. أما (أدهم) فقد اختفى بغتة من الجناح ..

لم يضع كعادته جزءًا من الثانية .. فلم تكد الرصاصة تخترق النافذة ، وتهشم كف (قدرى) ، حتى كانت عيناه قد حددتا مصدرها ، وكان عقله قد قرر ما عليه أن يفعل ، واندفع جسده لتنفيذ القرار ..

لم يستقل المصعد هبوطًا ..

هبط الطوابق الستة كالصاروخ ، وأثار الفزع فى بهو الفندق ، وهو يندفع خارجه ، ويعبر الطريق الواسع ، وسط رهط من السيارات ، ثم بدا كالطير الجامح ، وهو يقفز درجات سلم العمارة المقابلة ، صاعدا إلى سطحها ..

لم تستغرق مبادرته هذه أكثر من نصف الدقيقة ، حتى أن الرجل الذى أطلق الرصاصة ، لم يكن قد انتهى من حل أجزاء

بندقيته ، وإخفائها فى حقيبتها الخاصة بعد ، حينما وجد أمامه (أدهم صبرى) ..

اتسعت عينا رجل (المافيا) فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، وغمغم وهو يتراجع فى ذعر :

ــ يا للشيطان !!

لم يكد ينطق بتلك الكلمة ، حتى كانت قبضة (أدهم) تهوى على فكه ، وتهشم أسنانه الأمامية ، وأعقبتها قبضته الأخرى ، لتغوص فى معدة الرجل ، ثم عادت الأولى تحطم أنفه ..

لوثت الدماء وجه رجل (المافيا) ، ودارت به الأرض .. وخيل إليه أن الظلام يحل فى سرعة ، وأن الموت يبتسم فى وجهه بسخرية .. وجمدت الدماء فى عروقه ، حينما سأله (أدهم) فى غضب وصرامة :

ــ من أرسلك ؟.. ولماذا أقدمت على هذه الفعلة الحقيرة ؟

فى ظروف أخرى كان من المستحيل انتزاع اعتراف واحد ، من بين شفتى قاتل محترف ، ينتمى إلى منظمة إجرامية دولية مثل (المافيا) .. ولكنه أمام قوة (أدهم) وصرامته نسى من يكون ، ووجد نفسه يهتف فى ضراعة :

— الرحمة !! إننى أنفّذ أوامر سنيور (جروشو) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال فى حزم :

— هل تقصد (جروشو مانيانى) ؟

هتف الرجل فى توسُّل :

— نعم .. نعم .. إنه هو .. أنا أنفّذ أوامره فحسب .

قال (أدهم) فى غضب :

— وهل اعتدت إطاعة أوامر القتل هكذا ، ودون مناقشة .

بدا الرجل منهارًا ، وهو يغمغم :

— ليس قتلًا يا سنيور .. الرحمة !! لقد أمرنى سنيور (جروشو) بتحطيم يد البدين .. تحطيمها فقط .. أقسم لك .

خيّم الصمت وهلة ، ثم جاء صوت (أدهم) باردًا كالثلج ، قاسيًا كالفولاذ ، وهو يقول :

— سيدفع زعيمك (جروشو) الثمن .. وسأجعله يندم على أوامره هذه .

* * *

وقف مفتش البوليس الإيطالى (ماستوريانى) يراقب فى ضيق رجال الإسعاف ، وهم يضمّدون كفّ (قدرى) المحطّمة ، ثم أدار عينيه إلى (أدهم) ، وقال :

— هل أنت واثق من أنه قال : إن (جروشو مانيانى) هو الذى أمره بفعل ذلك ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

— تمام الثقة .

مطّ (ماستوريانى) شفتيه ، وقال :

— إنه يدّعى أنه لم يفعل ، ويصرُّ على أنك أنت طلبت منه أن يدّعىَ ذلك ، بعد أن حطّمت وجهه .

غمغم (أدهم) :

— كنت أتوقّع ذلك .

تطلّع المفتش الإيطالى فى عينى (أدهم) لحظة ، ثم هزّ كتفيه ، وقال :

— إنها ليست جريمة قتل على أية حال ، وأى محامٍ بارع يمكنه أن يقصر عقوبتها على ثلاث سنوات على الأكثر .

سأله (أدهم) فى هدوء :

— بالنسبة لمن ؟

عقد المفتش حاجبيه ، وهو يسأله :

— ماذا تعنى ؟

تردّدت نبرة حادّة فى صوت (أدهم) ، وهو يقول :

— أغبى من سيحصل على هذه العقوبة ؟.. ذلك الوغد ، أم (جروشو مانيانى) نفسه ؟

احتقن وجه المفتش ، وقال فى غضب :

— تبًّا لك !! ألا تعلم من هو (جروشو مانيانى) ؟

أجابه (أدهم) فى جِدّة :

— أعلم أنه وغد يتزعم عصابات (المافيا) ، التى تعيث فسادًا فى الأرض .

هتف المفتش فى غضب :

— لن يمكنك إثبات حرف واحد من هذا ، ولا حتى ما يتعلق بإصداره أمر تحطيم يد صديقك .. ستجد عشرات الشهود يؤكدون أنه لم يلتق بالفاعل أبدًا ، ولن يجرؤ الرجل نفسه على تكرار ذلك الاعتراف ، الذى تقول إنه ألقاه على مسامعك ، وستجد كل ما يتمناه أى محامٍ .. شهود ، أدلة ، تذاكر طائرات ، كل ما يكفى لنفى التُّهمة عن (جروشو مانيانى) .

قال (أدهم) فى برود :

— ولكنك تعلم أنه المسئول .

لوّح المفتش بكفيه فى ذُعر ، وهتف :

— أنا لا أعلم شيئًا .. ليس من حقّى أن أعلم .. الأدلّة وحدها هى التى ....

قاطعه (أدهم) فى جِدّة :

— حسنًا .. حسنًا .. لقد اعتدت ذلك .

ثم أردف فى صرامة :

— ولكنك ستحقق مع (جروشو) .. أليس كذلك ؟

زفر المفتش فى ضيق ، وقال :

— مادمت تتهمه ، فسأضطر إلى التحقيق معه ، ولكن لا تتوقع أن ....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

— أريد منك فقط أن تُبلغه رسالة .

تطلّع المفتش إلى (أدهم) فى دهشة ، وغمغم :

— رسالة ؟!

عاد صوت (أدهم) يكتسب برودة الثلج ، وقسوة الفولاذ ، وهو يقول :

— نعم .. أبلغه أن (أدهم صبرى) هنا ، وهو لن يغفر له ذلك .. لن يغفره أبدًا .

* * *

٤ ـ الضحية الثانية ..

خيَّم الصمت والوجوم فى جناح الدكتور (أحمد صبرى) طويلًا ، قبل أن تتنهَّد (منى) وتربِّت على كفِّ (قدرى) السليمة ، وتغمغم فى إشفاق :

ـ يمكنك أن تشكر الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن هذه الرصاصة لم تقتلك (يا قدرى) .

حاول (قدرى) أن يبتسم ، ولكنه عجز تمامًا ، وهو يغمغم فى ألم :

ـ من قال لك إنها لم تقتلنى يا (منى) ؟

ثم رفع كفه المصابة أمام وجهه ، وأردف فى حزن :

ـ لقد فقدت سلاحى الوحيد فى الحياة يا (منى) .

ازدرد الدكتور (أحمد) لعابه فى صعوبة ، وقال فى صوت خافت :

ـ لقد تقدم علم الجراحة كثيرًا يا صديقى ، وستعود كفك إلى طبيعتها بإذن الله .

ابتسم (قدرى) ابتسامة مريرة ، وقال :

ـ دعنا لا نخدع أنفسنا يا دكتور (أحمد) .. إن هذه الكف التى أبدعت أعظم تحف التزوير فى العالم ، لن تعود أبدًا إلى طبيعتها .. دعنا نعترف أننى لم أعد أبرع مزوِّرى العالم .

كان (أدهم) يقف صامتًا ، عاقدًا حاجبيه مشبِّكًا كفيه خلف ظهره ، ولكنه قال فى هذه اللحظة :

ـ كل شىء يعود بالإرادة يا (قدرى) .

رفع (قدرى) عينيه إليه فى حزن ، وغمغم :

ـ هل تعتقد ذلك حقًّا يا (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ إننى أومن به يا (قدرى) .

سأله (حازم) فى قلق :

ـ أما زلت تفكِّر فى الانتقام يا (أدهم) ؟

نظر إليه (أدهم) لحظة فى صمت ، ثم أجابه فى هدوء :

ـ ليس قبل أن أعرف من نواجه يا (حازم) .

عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تسأله فى دهشة :

ـ ألم تقل إنها (المافيا) ، تحت زعامة (جروشومانيانى) ؟

أجاب (أدهم) فى هدوء :

ـ ليس وحده يا (منى) ..

ثم أردف ، وعيناه تشردان بعيدًا :

ـ لقد قال ذلك الوغد ، الذى حطَّمت وجهه ، إن أوامره كانت تقضى بتحطيم يد (قدرى) فقط .. وهذا يعنى أن الشخص الذى أمره بذلك يعرف من هو (قدرى) ، ويعرف الكثير عن موهبته وبراعته فى التزوير ، وهذا لا يتأتَّى لـ (جروشو ماتيانى) ، مهما بلغت قوة (المافيا) .

غمغم (حازم) ، وقد بدأ يفهم ما يقصده (أدهم) :

ـ ماذا تعنى ؟

تابع (أدهم) :

ـ أعنى أن شخصًا آخر يعاون (المافيا) هذه المرَّة يا (حازم) .. شخصًا ينتمى إلى (الموساد) بالذات .

هتف الدكتور (أحمد) فى دهشة :

ـ (الموساد) ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا أخى .. (الموساد) .. جهاز المخابرات الوحيد فى العالم ، الذى يهمه دائمًا أن تظل دولته متفوِّقة على كل

الدول العربية فى الشرق الأوسط ، والذى يبذل المستحيل دائمًا فى سبيل القضاء على كل موهبة فى أجهزة المخابرات العربية .

غمغمت (منى) ، وقد بدأ الحماس يتسلَّل إلى قلبها :

ـ هل تفكِّر فى شخص بالذات ؟

صمت (أدهم) لحظة ، وأجاب :

ـ نعم يا (منى) .. أفكِّر فى عضو (الموساد) الوحيد ، الذى يمكنه تعرُّف مهما بلغ تنكُّرى ، والذى يهوى القتل والدمار ، ويجد لذَّة فى تعذيب الآخرين ، لمجرَّد الحصول على الإحساس بالتفوُّق .

تبادل (حازم) ، و (قدرى) ، و (منى) نظرات تحمل الكثير ، ثم غمغمت (منى) :

ـ هل تعنى ... ؟

قاطعها (أدهم) فى هدوء :

ـ نعم يا عزيزتى .. أعنى أفعى (الموساد) القاتلة الشرسة .. أعنى (سونيا جراهام) .

* * *

« نعم أنت يا (سونيا) .. أنت المسئولة عن كل هذا » ..

هتف (جروشو) بهذه العبارة فى غضب ، وهو يومى
بسبّابته فى وجه (سونيا) فى عصبيّة ، فى حين ابتسمت هى ل
سخرية ، وهى تقول :
ـــ أكلّ هذا من أجل تحقيق ، لم يستغرق أكثر من خمس
دقائق ، فى قسم الشُّرطة ؟
صاح (جروشو) فى غضب :
ـــ ليس هذا ما يحنقنى يا (سونيا) ، وأنت تعلمين ذلك
قال (دون كارلو) فى غضب ، وهو يناول (سونيا
كأسها :
ـــ حذار يا (جروشو) .. أنت تخاطب (سونيا) بلهج
لا تروق لى .
ابتسمت (سونيا) فى ثقة ، فى حين واصل (جروشو
ثورته ، صائحًا :
ـــ ألم تدرِ ما فعلته طريقة (صيد الثعالب) هذه ، ال
أصرّت عليها ؟ .. لقد كان بإمكان رجلنا إطلاق الرصاص ع
رأس (أدهم صبرى) مباشرةً ، وقبل أن ينتبه هذا الشيط
إلى أننا نسعى خلفه .. ولكن فكرتها الحمقاء جعلتنا نن
بإطلاقنا النار على يد اليدين و ....

قاطعته (سونيا) فى هدوء :
ـــ ولماذا وافقتنى إذن ؟
احتقن وجه (جروشو) غضبًا ، وكاد يصرخ بأن جمالها
خلب لُبّه ، وأطار من عقله حسن التدبير .. ، ولكنه كتم هذا
فى أعماقه ، وغمغم فى سخط :
ـــ لست أدرى .
ثم أردف صارخًا :
ـــ ولكننى كنت أحمق .. لقد أضعت أفضل فرصة
للتخلُّص منه .
أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة ، غلت لها الدّماء فى
عروق (جروشو) ، قبل أن تقول :
ـــ لا تقلق يا عزيزى (جروشو) .. إن فرصة اقتناص
(أدهم صبرى) لم تفت بعد .
صاح (جروشو) فى غضب :
ـــ هل تعلمين بأمر تلك الرسالة ، التى طلب منّى مفتش
الشُّرطة الأحمق (ماسعوريانى) ، أن يخبرك بها ؟ .. لقد قال
إنه هنا ، وإنه لن يغفر لى ما فعلته .
برقت عينا (سونيا) ، وهى تقول :

— هذا يعني أن لحظتي تسير على مايرام يا (جروشو) .. لقد غضب (أدهم) ، حتى إنه أعلن أوراقه في وضوح ،ولن يلبث هذا الغضب أن يفقده صوابه ، فيسقط بين أيدينا .

قال (جروشو) في حنق :

— لن أنتظر ذلك .. سآمر رجالي بقتله مباشرةً في المرّة القادمة .

هتفت (سونيا) في غضب :

— كلّا يا (جروشو) .. سنقتل رفيقته أولًا .

احتقن وجه (جروشو) غضبًا، في حين سألها (دون كارلو) في هدوء :

— لماذا تصرّين على قتل الفتاة أولًا يا عزيزتي (سونيا) ؟

لم تستطع (سونيا) إخفاء سخطها ، وهي تقول :

— إنه يحبها ، وسيؤلمه كثيرًا أن تلقى حتفها أمام عينيه .

ابتسم (دون كارلو) ، وقال وهو يرتشف كأسه في هدوء :

— أنت تغارين يا عزيزتي .

هتفت (سونيا) في استنكار :

— أغار ؟!.. ممّن ؟

ضحك (دون كارلو) في ثقة ، وقال :

— نحن الصقليّين نفهم جيدًا طبيعة المرأة يا عزيزتي (سونيا) .. ومن الواضح أنك تعشقين هذا الرجل (أدهم صبري) .

صاحت (سونيا) في غضب :

— أعشقه ؟!.. أنت واهم يا (دون كارلو) .. إنني أسعى لقتله .

عاد يضحك ، وهو يقول :

— أمثالنا الصقليّة القديمة تقول : إن الكراهية الزائدة عنوان محبّة يا عزيزتي .. وأنا أقول إنك تحبّين (أدهم) هذا ، ولكنك تكرهين منه عدم اهتمامه بك ، أو التفاته لجمالك الصارخ ، وتكرهين بالتالي الفتاة التي يهواها ، وتتمنّين من أعماقك قتلها ، وقتله ، عقابًا له على تجاهله لك .

صمتت (سونيا) لحظة ، وهي تتأمّله في دهشة ، ثم ضحكت في عصبيّة ، وقالت :

— هذا التحليل النفسي لا ينطبق على العاملين في المخابرات يا (دون) .

هزّ كتفيه ، وقال :

— المرأة هي المرأة يا عزيزتي .

ظهر الغضب على وجهها ، وقالت في شراسة :

— دعنا من هذه التُّرهات يا (دون) .. إنني أصرُّ على قتل الفتاة أولًا .

مطَّ (دون كارلو) شفتيه في لامبالاة ، وابتسم وهو يقول في هدوء :

— حسنًا يا جميلتي .. ستكون الفتاة هي ضحيتنا الثانية

* * *



٥ ـ القتل ..

التهبت أكُفّ المئات بالتصفيق ، حينما صعد الدكتور (أحمد صبري) ، ليقلِّده رئيس جامعة (روما) أرفع الأوسمة العلمية في إيطاليا ، وبدا المشهد رائعًا ، يثير الحماس في قلوب كل مصريّ ، حتى أن عيني (قدري) اغرورقتا بالدموع ، وهو يقول :

— يا إلهي !!.. هذا رائع !! كم يؤلمني أنني الوحيد هنا ، الذي لا يمكنه التصفيق .

ربَّتت (منى) على كتفه في حنان ، وغمغمت :

— يكفيك أنك أكثر الحاضرين فرحًا وحماسًا يا (قدري) .

ابتسم ، وقال في وجوم :

— وماذا عن (أدهم) ؟

جعلتها عبارته تلتفت إلى (أدهم) ، وتتأمَّله في قلق ..

كان يحتفظ بملامحه التنكُّرية ، وكان يبتسم وهو يتابع أخاه في اهتمام ، وكأنما هذا هو الأمر الوحيد الذي يشغله ، ولكنها كانت تعلم أنّ لامبالاته هذه تخفي عاصفة عاتية في أعماقه ..

كانت تعرف (أدهم) أكثر مما يعرفه الآخرون ، وكانت تعلم أنه لن يغفر أبدًا .

سيقاتل منظمة (المافيا) كلها ، ولن يهدأ قبل أن يحقق انتقامه .

وكان هذا ما يقلقها .

كان يقلقها أكثر أن يحدث شىء ما فى الحفل .

ولكن هذا لم يحدث .

انتهى الحفل فى سلام ، ووقف الجميع يهنئون الدكتور (أحمد) ، ويتمنون له مزيدًا من النجاح والتفوّق ، ولكنه لم ينتبه إلى حديثهم ، بل التفت إلى (أدهم) ، وقال :

— هل تريد تهنئتى حقًا يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) ، وأجاب فى هدوء :

— هل تشكّ فى ذلك يا شقيقى الوحيد ؟

قال (أحمد) فى حزم :

— ارحل إذن .

ظهرت الدهشة على وجوه الجميع ، إلا (أدهم) ، الذى ابتسم فى هدوء ، وقال :

— ليس بعد يا (أحمد) .

أمسك (أحمد) ذراعى أخيه ، وهتف فى حرارة :

— أرجوك يا (أدهم) .. ارحل قبل أن تشتعل النيران ، ويتساقط الرصاص كالمطر .. إنك لا تقاتل فردًا أو طغمة من الأوغاد .. إنك تقاتل (المافيا) .. أقوى منظمة إجرامية فى العالم ، ولقد عجزت دول كاملة عن هزيمتها .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— هذا لا يقلقنى يا أخى العزيز .

هتف الدكتور (أحمد) .

— ولكنه يقلقنى أنا يا (أدهم) .. يقلقنى إلى حدّ الموت .

وكأنما ساء الموت أن يذكر اسمه ، دون أن يظهر وجهه ..

فلم يكد الدكتور (أحمد) يتم عبارته ، حتى ظهرت فجأة سيارة رياضية صغيرة ، تندفع نحوهم ، وبرز من نافذتها الخلفية مدفع رشاش ، توجّهت فوّهته إليهم ، فصاح (أدهم) ، وهو يدفع شقيقه بعيدًا :

— ابتعد يا (أحمد) .

ثم جذب إليه (منى) ، وقفز بها جانبًا ، فى اللحظة نفسها التى انهمر فيها الرصاص كالمطر .

رصاصات قاتلة عديدة، انطلقت من فوّهة المدفع الرشاش، قبل أن تبتعد السيارة فى سرعة ، وتختفى فى منعطف قريب .

اندفع الناس من كل صوْب إلى مكان الحادث ، وامتلأ بهم المكان فى سرعة ، فى حين نهض (أدهم) فى سرعة ، وتأكد من نجاة (منى) ، و (أحمد) ، و (قدرى) ، ثم بحث بعينيه عن (حازم) ، حتى وجده راقدًا على وجهه ، وقبضته تلتف حول مقبض مسدسه ، فأسرع إليه فى خفة ، وأدار وجهه إليه ، فى اللحظة نفسها التى سألته فيها (منى) بقلق :

ــ هل أصيب (حازم) ؟

انتفض صوت (أدهم) بغضب هائل ، وهو يقول :

ــ نعم يا (منى) .. لقد أصيب .



وجده راقدًا على وجهه ، وقبضته تلتف حول مقبض مسدسه ..

كتمت (منى) شهقة كادت تفلت من بين شفتيها ، وشحب وجهها وهى تتطلع إلى (حازم) ، الذى سال خيط من الدم ، من ثقب فى منتصف جبهته .

كانت (المافيا) قد ربحت قتيلًا هذه المرّة .

قتيلًا مصريًا ..

* * *

وقف مفتش الشرطة الإيطالى (ماسوريانى) ، يتطلّع فى أسف إلى رجال الإسعاف ، وهم ينقلون جثة (حازم) إلى سيارة الإسعاف ، ثم هزّ رأسه ، وقال :

ــ كنت أتوقّع هذا .

ثم التفت إلى (منى) ، التى أجهشت بالبكاء ، و (قدرى) الذى سالت دموعه فى صمت ، والدكتور (أحمد) ، الذى بدا صورة للحزن والأسف ، وتوقّفت عيناه عند (أدهم) ، الذى بدا جامدًا حادًّا ، كسيف من الفولاذ ، وقال فى ضيق :

ــ هل التقط أحدكم رقم السيارة ، أو لمح وجه قائدها ، أو .... ؟

قاطعه (أدهم) فى هدوء ، بدا أكثر ضجيجًا من الصراخ نفسه :

— السيارة رياضية صغيرة حمراء ، من نوع الفيات ، ورقمها (٢٣٤٣٦) ، وقائدها نحيل ، أصلع الرأس ، أزرق العينين ، ويمكننى أن أتعرّفه لو رأيته فى عرض خاص .. ولكن هذا لا يهم ، فستجد لدى أوغاد (المافيا) كل مايثبت عدم صحة أقوالى هذه ، وقد تعثر على السيارة محترقة فى الجانب الآخر من (إيطاليا) ، وستجد العشرات ممن يشهدون بوجود هذا القاتل معهم ، على بعد مئات الأميال من هنا وقت ارتكاب الحادث .

أطرق المفتش برأسه فى أسف ، وغمغم :

— علينا أن نحاول على الأقل .

قال (أدهم) فى برود :

— ولكننى لا أتهم أحدًا .

نظر إليه المفتش فى دهشة ، وغمغم :

— ماذا ؟

أجابه (أدهم) فى جدّة :

— قلت لك إننى لا أتهم أحدًا .

ثم التفت إلى رفاقه ، وقال :

— هيًا بنا يا رفاق .

تبعه (قدرى) ، والدكتور (أحمد) ، و (منى) إلى سيارته ، وقال المفتش (ماستوربانى) ، عندما أدار (أدهم) محرّك السيارة :

— سأحتاج إلى شهادتك .

أجابه (أدهم) فى برود :

— اطمئن أيها المفتش .. سأزورك حتمًا فى مكتبك .

لم يكد (أدهم) ينطلق بالسيارة ، حتى هتف (قدرى) وهو يبكى :

— هؤلاء الأوغاد قتلوا (حازم) ، ولن يفلتوا .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— أعدك بذلك يا (قدرى) .

هتف الدكتور (أحمد) فى توتّر :

— دَعْكُم من فكرة الانتقام .. غادروا (إيطاليا) بالله عليكم .

قال (أدهم) فى هدوء :

— نحن فى طريقنا إلى المطار بالفعل يا (أحمد) .

جاءت هذه الإجابة كالقنبلة ، حتى أن الذهول شملهم جميعًا ، وغمغمت (منى) :

— المطار ؟!.. هل سنغادر (إيطاليا) حقًا ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

— بل ستغادرونها أنتم يا (منى) ، أما أنا فسأبقى .. حتى يدفع أوغاد (المافيا) ثمن دم (حازم) ، وكفّ (قدرى) .

هتفت (منى) فى عناد :

— سأبقى معك .

أوقف (أدهم) السيارة فجأة ، وقال فى صرامة :

— ستغادرون (إيطاليا) يا (منى) .. الآن .

ثم أردف فى غضب :

— ألم تفهموا بعد ما يفعله رجال (المافيا) ؟.. إنهم ينتقمون منّى بالقضاء على رفاقى واحدًا بعد الآخر .. لقد حطّموا أولًا كفّ (قدرى) ، ثم قتلوا (حازم) ، والله وحده يعلم ما يدخرونه لك يا (منى) ، ولشقيقى (أحمد) .. إننى لن أسمح لهم بذلك .

وفى حركة غاضبة ، انتزع شعره الأشقر المستعار ، ولحيته المزيّفة ، ومسح مساحيق التنكّر عن وجهه ، فصاحت (منى) :

— (أدهم) .. إنك تزيد الأمر خطورة .

أدار محرّك السيارة مرّة أخرى ، وهو يقول فى صرامة ، تختلط بالغضب :

— إننى أعلن لأوغاد (المافيا) قبولى لتحدّيهم يا (منى) .

صاح الدكتور (أحمد) :

— ولكن هذا بمثابة انتحار .

أجاب فى هدوء :

— فليكن .

صاحت (منى) وهى تبكى :

— لن أغادر (إيطاليا) .

أجابها (أدهم) فى غضب مخيف :

— سترحلون الآن يا (منى) .. الآن .. قبل أن يدفع أوغاد (المافيا) الثمن .

ثم أردف فى لهجة جمّدت الدم فى عروقهم :

— وسيكون الثمن باهظًا .

* * *

٦ ـ الانتقام ..

تنهّد (أدهم) فى ارتياح ، وهو يتابع ببصره الطائرة ، التى حلّقت فى طريقها إلى القاهرة ، وعلى متنها شقيقه ورفيقاه ، وانتظر حتى غابت الطائرة فى الأفق ، ثم استدار ، وسار فى خطوات هادئة إلى خارج المطار ، حيث استقل سيارته ، وانطلق بها على غير هدى ، فى شوارع (روما) .

ولو أن رجال (المافيا) أرادوا التخلّص من (أدهم) ، ما كانت لديهم فرصة أفضل من هذه اللحظة ، فقد كان شارد الذهن ، تائه الفكر ، حزينًا .

كان يستعيد ذكرياته مع (حازم) ، منذ انتقالهما من قوات الصاعقة إلى المخابرات العامة .

تذكّر كيف جابها المخاطر معًا ، وكيف أنقذه يومًا من فخ أعده له (الموساد)(*) .

(*) راجع قصة (قناع الخطر) .. المغامرة رقم (٣) .

كان (حازم) هو أقرب صديق إلى قلبه فى المخابرات ، وفى حياته كلها .. وها هو ذا يلقى حتفه أمام عينيه ، وبرصاصات أوغاد (المافيا) .

ومع كل لمحة من الذكريات تجول بذهنه ، كان إصرار (أدهم) على الانتقام يتضاعف .

لقد تحوّل (رجل المستحيل) إلى رجل يسعى للانتقام ، ويا ويل من سيقع عليهم انتقامه !!

* * *

عاد المفتش (ماستوريانى) إلى منزله منهكًا ، فى الهزيع الأخير من الليل ، فألقى سترته فوق أول مقعد قابله ، واتجه إلى ثلاجته الصغيرة ، فالتقط منها علبة من العصير البارد ، وفتحها بطرف سبّابته ، ثم رفعها إلى شفتيه ، وقبل أن يرتشف واحدة ، سمع صوتًا باردًا يقول :

ـ أجب عن سؤالى قبل أن تتذوّقها أيها المفتش .. أيهما تفضّل : (المافيا) أم القانون ؟ فكّر جيّدًا قبل أن تجيب ، فستوقف حياتك على الجواب ، وليست هناك فرصة ثانية .

ارتجف جسد المفتش لحظة ، ثم خفض علبة العصير ، وقال فى حنق :

— لو أنك سألت أصغر طفل فى إيطاليا ، لقال لك إنه يكره (المافيا) ، كما يكره الإنسان المرض والموت .

قال صاحب الصوت فى هدوء :

— أصبت أيها المفتش .

استدار (ماستوريانى) فى بطء إلى مصدر الصوت ، فطالعه رجل وسيم الملامح ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، فقطّب حاجبيه ، وهو يغمغم :

— من أنت ؟

ابتسم صاحب الصوت ، الذى لم يكن سوى (أدهم صبرى) ، وقال فى صوت مختلف :

— ألا تذكرنى أيها المفتش ؟.. لقد التقينا مرّتين من قبل .

هتف المفتش (ماستوريانى) فى دهشة :

— يا إلهى !!.. هذا الصوت !.. ولكن ....؟!

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه :

— ولكننى كنت أشقر الشعر ، وأحمل لحية كثّة فى الصباح .

ازداد انعقاد حاجبى (ماستوريانى) ، وهو يغمغم :

— كيف بدلت ملامحك على هذا النحو ؟

أجاب (أدهم) فى حزم :

— دعك من هذا .. فأنا أحتاج إلى معاونتك فى أمر يتعلّق بـ (المافيا) .

ساد الصمت لحظة ، ثم جذب (ماستوريانى) مقعدًا ، وجلس فى بساطة ، وكأنه بصحبة صديق قديم ، وهزّ كتفيه وهو يقول :

— معاونتى ؟!.. وماذا يمكننى أن أفعل فى مواجهة منظمة قوية مثلها ؟.. الحكومة كلها عجزت عن ذلك .

جلس (أدهم) بدوره ، وهو يقول :

— لقد فشلتم لأنكم تتعاملون بالقانون ، مع أوغاد يركلونه بأقدامهم .

ثم أردف فى صرامة :

— إنهم يحتاجون إلى من يتجاهل القانون أيضًا ، وهو يحاربهم يا صديقى .

ابتسم (ماستوريانى) ابتسامة مريرة ، وجرع نصف علبة العصير جرعة واحدة ، ومسح شفتيه بكفّه ، وهو يقول :

— كنت أعلم أنك لست رجلًا عاديًا .. فالأسلوب الذى اتبعته فى القبض على الرجل ، الذى حطّم كفّ رفيقك

البدين ، وصرامتك وقوتك ، كلها أكدت لى أنك خصم يحق لـ (المافيا) أن تسعى للتخلص منه .

ثم أردف ، وهو يتأمل (أدهم) :

ـــ ولقد شعرت بالإعجاب تجاهك .

وعاد يستطرد فى يأس :

ـــ ولكن ماذا يمكنك أن تفعل وحدك فى مواجهتهم ؟

ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم قال (أدهم) :

ـــ اسمع يا صديقى ، أنت رجل شريف ، تشعر بالغضب مما يحدث حولك ، ولكنك لا تملك ما تفعله ، وهذا هو شعور الغالبية من سكان (إيطاليا) ، ولكنك تستطيع أن تقوم بخطوة إيجابية ، بمعاونتى على مقاومتهم .

تنهد (ماستوروبانى) ، وغمغم فى يأس :

ـــ وكيف يتأتى ذلك ؟

قال (أدهم) :

ـــ أريد معرفة كل المنشآت التابعة لهم فى (روما) ، أو أضخمها على الأقل .

خيم الصمت طويلاً هذه المرة ، قبل أن يلتفت (ماستوروبانى) إلى (أدهم) ، ويقول :

ـــ اسمع يا فتى .. لست أدرى كيف أجلس لأتحدث إليك هكذا فى هدوء ، على الرغم من اقتحامك منزلى ، وتهديدك لى فى البداية . ولكن شيئًا ما فى أعماق يدعونى للثقة بك ، ويؤكد لى أنك الرجل المناسب لمواجهة هؤلاء الأوغاد .

احتبست الكلمات فى حلقه لحظة ، ثم عاد يردف فى انفعال :

ـــ ربما كان ما سأقدم عليه هو أكبر حماقة أرتكبها فى حياتى ، ولكننى سأفعله .. سأفعله مادام هو الأمل الوحيد الذى بدا فى عمرى كله ، للقضاء على هؤلاء القتلة ، أو تكبيدهم بعض المتاعب والخسائر على الأقل .

عادت الكلمات تحتبس فى حلقه مرة أخرى ، من فرط انفعاله ، قبل أن يستطرد فى حماس :

ـــ سأعاونك بقدر استطاعتى يا رجل .. سأعاونك على الانتقام .

* * *

٧ ــ الرصاصة ..

صرخت (سونيا جراهام) فى وجه (جروشو) ، داخل قصر (دون كارلو) ، فى غضب هائل ، انقلبت له ملامحها ، واتقدت له عيناها شررًا :

ــ أنت زعيم فاشل يا (جروشو) .. لقد انتقيت رجلًا فاشلًا لإطلاق النار ، حتى أنه أخطأ الفتاة .. وقبل أن تستعد لتنفيذ لخطوة جديدة ، كانت قد غادرت إيطاليا مع شقيق (أدهم صبرى) ، وصديقه (قدرى) .

أجابها (جروشو) فى هدوء مثير :

ــ سأصفعك على وجهك لو استمررت تتحدثين بهذا الأسلوب يا (سونيا) .

صاحت فى تحدٍّ :

ــ حاول أن تفعل يا (جروشو) ، وسأمزقك إربًا .

استدار إليها (جروشو) ، وقال فى حدة :

ــ كفى يا (سونيا) .. إنك تتحدثين كما لو كنت زعيمة

(المافيا) .. لقد طلبت من (الموساد) إرسالك إلى هنا لمهمة محدودة ، ألا وهى تعرُّف (أدهم صبرى) فحسب .. ولكننى لا أبالى بخطتك السخيفة هذه ، وخاصة بعد أن أضاعت منا الفرصة المثالية للقضاء على ذلك الشيطان المصرى .

ثم دنا وجهه من وجهها ، وقال فى عصبيّة :

ــ هل تعلمين أننى أمرت رجالى بإطلاق النار على الجميع ، وليس الفتاة وحدها ؟

احتقن وجه (سونيا) غضبًا ، وهتفت :

ــ أمرتهم بإطلاق النار على (أدهم) ؟! كيف تجرؤ ؟

وهنا ارتفع صوت (دون كارلو) ، يقول فى هدوء ساخر :

ــ (سونيا) تريد الاحتفاظ به لنفسها يا عزيزى (جروشو) .

شحب وجه (سونيا) لحظة ، ثم قالت فى غضب :

ــ من وضع فى رأسك هذه الفكرة الحمقاء يا (دون) ؟

فتح (دون كارلو) راحته فى هدوء ، فتألقت وسطها رصاصة ذهبية اللون ، شحب لمرآها وجه (سونيا) ، وغمغمت :

ـــ من أين حصلت عليها ؟

في حين سأله (جروشو) :

ـــ ما هذا الشيء يا (دون) ؟

أمسك (دون كارلو) الرصاصة الذهبية بطرف سبابته وإبهامه ، ورفعها إلى أعلى ، حيث انعكست عليها أضواء البهو ، فازداد تألقها ببريق أخاذ ، وقال في سخرية :

ـــ إنها رصاصة من الذهب الخالص يا عزيزي (جروشو) نُقِشَ على مقذوفها اسمىْ (أدهم صبرى) ، و (سونيا جراهام) .. إنها الرصاصة التى أعدتها عزيزتنا (سونيا) خصيصًا ، لتستقر في قلب الرجل الذى نبذها وهزمها .

عادت (سونيا) تسأله في صوت مختنق :

ـــ من أين حصلت عليها ؟

أطلق (دون كارلو) ضحكة ساخرة عالية ، وقال وهو يدس الرصاصة في جيب سترته :

ـــ لقد فاتك يا عزيزتى (سونيا) أن تعرف أننا معشر الصقليين لانثق بالنساء .. صحيح أننا نُولى جمالهن اهتمامًا خاصًا ، ولكننا لا نثق بعقولهن ، وتزداد شكوكنا فيهن ، كلما أبدين مزيدًا من الذكاء .



أمسك (دون كارلو) الرصاصة الذهبية بطرف سبابته وإبهامه ، ورفعهما إلى أعلى ، حيث انعكست عليها أضواء البهو ..

ثم أردف في لهجة ، جعلته يبدو مخيفًا :

ـ لقد طلبت من رجالي تفتيش حقائبك ، ونحن نجلس أمام حوض السباحة يا (سونيا) .. وعبارات الغزل التي كنت ألقيها على مسامعك ، لم تكن سوى نوع من التغطية ، حتى عثر رجالي على رصاصتك الذهبية ، في علبة من القطيفة الحمراء ، وفهمت خطتك .

بدأ الغضب يتسلل إلى نبراته ، وهو يستطرد :

ـ كنت تظنين أن رجال (المافيا) أغبياء ، ستخدعينهم بجمالك الفاتن ، وتحركينهم كقطيع من الثيران الهائجة ، أو كالكلاب في عملية (صيد الثعالب) ، التي تقودينها أيتها الجميلة .. فيقتصر دورنا على إنهاك الثعلب ، حتى يصبح جاهزًا ، لتستقر رصاصتك الذهبية في قلبه .

وأدار عينيه إلى (جروشو) ، متابعًا :

ـ وصديقنا (جروشو) أيضًا تصوَّر أن (دون كارلو) رجل تافه ، يميل إلى الجلوس في الظل ، ويترك له زعامة (المافيا) ، ولم يخطر بباله قط أن (دون كارلو) هو ابن (دون ريكاردو) ، وشقيق (دون مايكل) ، وأنه أجدر بالانتقام لوالده وشقيقه .

شحب وجه (جروشو) ، وهو يتمتم :

ـ لم يخطر هذا ببالي قط يا (دون) .

صاح (دون كارلو) في صرامة :

ـ صَهْ يا (جروشو) .. منذ هذه اللحظة ستعود الأمور إلى نصابها الصحيح ، وسأتولى أنا زعامة العملية ، وأوامري وحدها ستنفَّذ .

أطرق (جروشو) برأسه ، وغمغم :

ـ فليكن يا (دون) .

أما (سونيا) ، فقد افترَّ ثغرها عن ابتسامة رقيقة ، وقالت في صوت هامس مثير :

ـ سيسعدني العمل تحت زعامة عبقريّ مثلك يا (دون) .

انتفخت أوداج (دون كارلو) ، وهمَّ بإلقاء المزيد من الكلمات ، لولا أن اندفع أحد رجاله بغتة إلى البهو ، وصاح في توتُّر :

ـ لقد تلقينا مكالمة من كازينو القمار يا (دون) ، أن (أدهم صبري) هناك .

* * *

التقت عيون رجال (المافيا) عند (أدهم صبرى) ، الذى بدا شديد الوسامة فى حُلّة السهرة السوداء ، ورباط العنق القصير ، وهو يتحرَّك فى لامبالاة ، وسط رواد الكازينو ، الذين يربو عددهم على المئات ، والتفت أحد رجال (المافيا) إلى زميله ، وسأله فى عصبيَّة :

ــ إنه يمتلك أعصابًا فولاذية هذا الرجل .. انظر كيف يتجوّل فى استهتار ، وهو يعلم أننا جميعًا ننشد مصرعه .

أجابه زميله فى سخط :

ــ إنه شديد الذكاء يا صديقى .. فهو يعلم أننا لن نقتله وسط كل هذا الحشد من الروّاد .

قال الأول فى حَيْرة :

ــ ولكنه لن يستطيع مغادرة المكان ، فسنُعِدُّ له عشرات الكمائن خارجًا .. أليس كذلك ؟!

أجابه الثانى فى حَيْرة أشد :

ــ لست أدرى !!.. ربما أمَّن لنفسه تغطية رهيبة .. تذكَّر أنه شيطان مريد .

فى هذه اللحظة ظهر (جروشو) و (سونيا) على باب الكازينو ، فأسرع إليهما مديره ، وقال لـ (جروشو) :

ــ مازال هنا ياسنيور (جروشو) .

ثم أشار إلى (أدهم) ، الذى وقف يراقب منضدة (الروليت) فى هدوء ، فعقد (جروشو) حاجبيه ، وقال :

ــ هيَّا بنا يا (سونيا) ، سنواجه هذا الشيطان مباشرةً .

ثم التفت إلى مدير الكازينو ، وقال :

ــ لا تسمحوا له بالخروج ، وأرسل معى خمسة من أشد رجالك .

اقترب (جروشو) و (سونيا) ، وخلفهما الرجال الخمسة من حيث يقف (أدهم) ، الذى استدار إليهم ، وقد زيَّنت شفتيه ابتسامته الساخرة ، التى تثير دومًا حقد (سونيا) ، وقال فى تهكُّم :

ــ ياعزيزى (جروشو) .. كيف حالك أيها الوغد ؟. إننا لم نلتق منذ عملية (لاريدو) .. أليس كذلك ؟..

ثم أدار عينيه إلى (سونيا) ، وقال بأسلوبه الساخر :

ــ إنك تزدادين جمالاً وشراسةً ، فى كل مرَّة نلتقى فيها ياعزيزتى (سونيا) .

ضغط (جروشو) على أسنانه ، وغمغم فى خشونة :

ــ أنت رجل ميِّت يا (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أثارت دهشة المحيطين به ، وقال :

ـ هذا تقرير سابق لأوانه يا عزيزى (جروشو) .

أشار (جروشو) إلى الرجال الخمسة ، فأسرعوا يحيطون بـ(أدهم) ، وقال (جروشو) فى حزم غاضب :

ـ ستصحبنا فى هدوء إلى الخارج يا سنيور (أدهم) ، أو ....

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ أو ماذا ؟ يا عزيزى الوغد .

صاح (جروشو) فى غضب :

ـ أو يمزّقك رجالى إربًا أيها الشيطان .

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال فى هدوء :

ـ حسنًا .. أنت أردت ذلك يا (جروشو) .

وفجأة .. تحوّل هدوء (أدهم) إلى عاصفة .. إلى إعصار ..

إلى قنبلة انفجرت فجأة فى منتصف الكازينو ..

وبدأت أولى معارك (أدهم صبرى) ، للانتقام من (المافيا) .

* * *

٨ ـ رجل ومنظمة ..

بدأ القتال بلكمة ..

لكمة هبطت من قبضة (أدهم) ، على فك أقرب الرجال الخمسة إليه ، فهشّمته تهشيمًا .. قبل أن يدور (أدهم) على عقبيه ، ثم يقفز فى الهواء ، وتندفع قدماه فى آن واحد إلى أنف الرجل الثانى فتحطّمه ، ومعدة الثالث ، وكسرت قبضته الثانية أسنان الرابع ، قبل أن يستند بقبضتيه إلى كتفى الرجل الذى انحنى إثر الضربة التى أصابت معدته ، ويقفز عَبْر جسده ، ليستقر خلف الرجال ، وتندفع قبضته إلى ما خلف عنق الرجل الخامس فى قوة ساحقة .

ساد الذُعر بين رُوّاد الكازينو ، وارتفع صراخهم ، وهم يتخبّط بعضهم فى البعض ، فى محاولة للفرار من ذلك الصراع الشيطانى ، الذى نشب فجأة ، حتى ضاع صوت (جروشو) ، وسط الضجة ، وهو يهتف :

ـ لا تتركوه يفرّ ، لا تسمحوا له بالفرار .

أما (سونيا) ، فقد أسرعت تلتقط مسدسها ، وتحاول إطلاق النار على (أدهم) ..

ورجال (المافيا) حاولوا الوصول إلى (أدهم) ، وسط ذلك الخِضَمّ من الرُّوَّاد ، الذين أفقدهم الفزع صوابهم ..

(أدهم) وحده كان يعمل ، دون أن يبالى أو يتأثر بالهرج والمرج من حوله ..

انتزع من سترته مسدس (حازم) ، الذى أخذه بعد وفاة هذا الأخير ، وأطلق رصاصة أصابت السلسلة الذهبية ، التى ترفع واحدة من الثريّات الضخمة الأنيقة فى رَدهة الكازينو ، فتهاوَت الثريّا ، وتحطّمت ، مثيرة مزيدًا ومزيدًا من الفزع والذُّعر ..

وتوالت رصاصاته فى سرعة ومهارة ، وتهاوَت الثريّات واحدة بعد الأخرى ..

ضجيج الرصاصات ، والثريّات المتهاوية كالقنابل ، حوّل المكان إلى غابة يفرّ كل من فيها بحياته .. وفشلت (سونيا) فى تصويب مسدسها إلى (أدهم) ، وهى تقاوم كل هؤلاء الذين يدفعونها ، فى طريقهم إلى أبواب الخروج ، فى حين انتزع (أدهم) خزانة مسدسه الفارغة ، ووضع أخرى

مملوءة بالرصاصات ، وعاد يطلق النار على كل مصدر للضوء فى الكازينو الضخم ..

كان يتحرّك فى هدوء وبساطة ، وكأنه يعمل وحده ، واثقًا من أن المكان ، الذى اختاره لبدء الصراع ، يجعله فى مأمن من رصاصات رجال (المافيا) ، ومن تدافع الروّاد فى حالة الفزع .. ومع آخر رصاصاته ، ساد الظلام التام فى قاعة الكازينو ..

ساد الظلام والصمت فى الكازينو ، بعد أن فرّ روّاده كلهم ، وهم يقسمون ألا تطأ أقدامهم بعد الآن ذلك المكان الموبُوء ..

وإلى جوار الظلام والصمت ، بقى (جروشو) ، و(سونيا) ، ورجال (المافيا) ..

وبقى (أدهم صبرى) ..

كانت (سونيا) أول من قطع حبل الصمت ، وهى تصيح :

ــ إنه هنا .. فى مكان ما هنا .. لقد رأيته يطلق آخر رصاصاته ، بعد خُلوّ الكازينو من الجميع .

صاح (جروشو) فى عصبيّة ، وهو يدير عينيه فى الظلام التام :

— ألا يملك أحدكم مصباحًا ؟

انتزعت (سونيا) قدّاحتها الفضيّة ، وهتفت في حنق :

— سأضيء المكان يا (جروشو) .

وقبل أن يفهم أحد رجال (المافيا) ما تعنيه ، كانت قد تحسّست طريقها إلى أقرب مائدة ، وانتزعت مفرشها ، وأشعلت فيه النار بقدّاحتها ، وأضاء اللهب المكان بعض الشيء ، ودارت عيون رجال (المافيا) فيه لحظة ، ثم هتف أحدهم :

— لا أثر له .. ربما فرّ قبل أن ....

صاحت (سونيا) :

— كلّا .. إنه هنا .. أشعلوا كل شيء .

هتف (جروشو) في غضب :

— هل جننتِ ؟.. سيشتعل المكان كله .

وفجأة .. ارتفع صوت ساخر يقول :

— لقد ألهمتني فكرة رائعة ياعزيزتي (سونيا) .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت في ذعر ، وصاحت (سونيا) :

— إنه يختبئ هناك .. خلف الباب الرخامي .

توجّهت فوّهات مسدسات رجال (المافيا) إلى الباب الرخامي ، وقبل أن تنطلق ، اندفعت من خلف البار زجاجة من زجاجات الويسكي ، وفي أعلاها قطعة من القماش المشتعل ، وصرخت (سونيا) :

— يا للشيطان !!.. لقد حوّل الويسكي إلى قنابل (مولوتوف)(*) .

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى تفجّرت الزجاجة المشتعلة ، وانتشر اللّهب وسط رجال (المافيا) ، الذين أخذوا يطلقون رصاصاتهم في رعب ، وتوالى اندفاع الزجاجات المشتعلة ، وانفجارها ، في حين صمد البار الرخامي أمام الرصاصات المنهمرة ، وارتفعت ضحكة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— أخيرًا وجدت فائدة واحدة لهذه السّموم .

أخيرًا أيضًا ، توقف رجال (المافيا) عن محاولة قتل (أدهم صبري) ، وانقلب الأمر إلى محاولة كل منهم النجاة

(*) قنابل (مولوتوف) : نوع من المتفجّرات ، ابتكره جنرال سوفيتي ، عبارة عن زجاجة مملوءة بسائل سريع الاشتعال ، توضع في أعلاها سدادة قماشية ، وتشعل فيها النيران ، فيتمدّد السائل ، وينفجر ويشتعل ، وهو أبسط أنواع المتفجّرات .

بنفسه ، من النيران التى انتشرت فى كل مكان ، وصاح (جروشو) ، وهو يجذب (سونيا) إلى الخارج :

ــ هيّا يا (سونيا) .. لقد فاز الشيطان هذه المرّة .

جذبت يدها من يده فى حنق ، وصاحت فى عناد :

ــ كلّا .. إننا لن نسمح له .

هتف فى غضب :



أخيرًا وجدت فائدة واحدة لهذه السمُوم ..

ــ هيّا يا (سونيا) .. سيتحوّل المكان إلى أتون مشتعل بعد لحظات ، ولنترك لهذا الشيطان وحده التفكير فى كيفية الخروج من هنا .

* * *

بذل المفتش (ماستورياني) جهدًا خارقًا ، ليخفى قلقه ،

وهو يتطلّع إلى الكازينو الذى التهمته النيران ، على الرغم من محاولات رجال الإطفاء المستميتة للسيطرة على الموقف .. والتفت إلى (جروشو) ، الذى وقف متماسكًا إلى جوار (سونيا) ، التى أشعلت سيجارتها الرفيعة الملوّنة ، ووقفت تنفث دُخانها فى عصبيّة ، وقال :

ــ إذن فأنتما لا تعرفان المسئول عن ذلك يا سنيور (جروشو) .

هزّ (جروشو) كتفيه ، وقال :

ــ روّاد الكازينو يقدّرون بالمئات أيها المفتش ، وهو أحدهم .. ولا ريب أنه خسر مبلغًا كبيرًا على موائدنا ، فانتابه الجنون ، وأخذ يطلق النار فى كل مكان ، حتى أشعل زجاجات الويسكى و ....

قاطعه المفتش فى هدوء :

ــ دون أن يحاول أحد رجالكم التدخّل ؟!

عقد (جروشو) حاجبيه ، وغمغم فى سخط :

ــ قلت لك إنه مجنون .

لم يستطع (ماستورياني) كتمان لهفته هذه المرّة ، وهو يسأل :

— وأين ذهب هذا المجنون ؟

أشار (جروشو) إلى الكازينو ، الذى بدأت نيرانه تخبو ، تحت سيطرة رجال الإطفاء ، وأجاب فى حَنَق :

— ستعثر على جثته محترقة فى الداخل .

ظهر الألم على وجه المفتش لحظة ، ثم غمغم :

— نعم ياسنيور (جروشو) .. أعتقد ذلك .

ثم أردف فى حِدّة مفاجئة :

— ولكنك ستتعرّض لمساءلة رجال الأمن الصناعى ياسنيور (جروشو) .. فلم يكن الكازينو مجهزًا بوسائل مكافحة الحريق .

قال (جروشو) فى غضب :

— إننى لا أملك الكازينو أيها المفتش .. إنه ملك (دون كارلو) .

ثم ضغط حروف كلماته ، وهو يكرّر :

— هل تعلم من هو (دون كارلو) ؟

لوّح (ماستوربانى) بكفه فى سخط ، وغمغم :

— نعم ياسنيور (جروشو) .. أنا أعلم من هو (دون كارلو) .

ثم قفز إلى سيارته ، وابتعد بها فى سخط واضح ..

طوال الطريق إلى منزله ، كان المفتش يشعر بأسًى رهيب ..

كان يضايقه أن يلقى رجل مثل (أدهم صبرى) حتفه ، فى أول معركة له ..

وعندما دخل إلى منزله ، كانت عيناه مغرورقتين بالدموع ، ولكنه لم يكد يغلق الباب خلفه حتى سمع صوت (أدهم) ، يقول فى هدوء :

— أتعشّم أن أجد عندك علبة إضافية من العصير المثلج ياصديقى .. فقد عانيت من الحرارة الشديدة هذا المساء ماعانيت !!

أسرع المفتش يضيء رَدهة منزله ، وحدّق لحظة فى وجه (أدهم) الباسم ، وملابسه التى احترقت أطرافها ، وفقدت الكثير من أناقتها ، ثم انفجر يضحك فجأة فى جذل ، واندفع يربّت على كتف (أدهم) ، وهو يهتف فى حرارة :

— ياإلهى !!.. لقد فعلتها يارجل .. فعلتها وحدك أمام كل هؤلاء الأوغاد .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـ غلبة العصير أولًا يا صديقى .

أطلق (ماستورياني) ضحكة مجلجلة ، وهتف وهو يسرع إلى ثلاجته الصغيرة :

ـ صندوق كامل من غلب العصير أيها البطل .. إنه احتفالنا بأول انتصار لك على منظمة (المافيا) كلها .

* * *



٩ ـ الجولة الثانية ..

جرع (دون كارلو) كأس الخمر فى يده دفعة واحدة ، ثم طوّح بها ، لتتحطّم فى ركن بهو القصر الأنيق ، وصاح فى غضب :

ـ كيف يهزم رجل واحد منظمة كاملة يا (جروشو) ؟.. هذا ضَرْبٌ من العبث .

غمغم (جروشو) فى حَنَق :

ـ إنك لم تَرَ ما فعله يا (دون) .. لقد كان يتحرّك فى سرعة وخفّة وجسارة و ....

قاطعه (دون كارلو) فى غضب :

ـ لماذا لا تكتب مقالًا فى مدحه يا (جروشو) ؟.. إننا نملك أكبر صحيفة فى (روما) ، ولن يكلفك المقال كثيرًا .

هتف (جروشو) فى ضيق :

ـ كفاك تقريعًا يا (دون) ، لقد حاولت بقدر طاقتى .

صرخ (دون كارلو) ، وقد بلغ غضبه مبلغه :

— طاقتك ؟!.. هل تعلم كم كلفنا حادث الكازينو هذا ؟.. المكان المحطَّم المحترق وحده تبلغ تكلفته ثلاثة ملايين دولار .. ولقد التهم الحريق مليونًا آخر من النقود السائلة .. أضف إلى هذا خسائر الإغلاق لشهر كامل ، وتردُّد الرُّوَّاد فى دخول الكازينو لمدة لا أحد يعلم مداها ، ومصاريف التجديد .

طوَّح بذراعيه فى الهواء ، وهو يصرخ مواصلاً :

— ستبلغ التكلفة عشرة ملايين على الأقل .

كانت (سونيا) حتى هذه اللحظة ترتشف كأسها فى صمت ، فابتسمت فى خبث ، وقالت :

— لن يزعزع هذا المبلغ ميزانية (المافيا) كثيرًا يا (دون) .

عقد حاجبيه فى غضب ، وقال :

— ولكنه يعبِّر عن الهزيمة يا (سونيا) .

صاح (جروشو) فى غضب :

— لخطتها الحمقاء هى السبب فى هذه الهزيمة .

قال (دون كارلو) فى صرامة :

— لن نضيع الوقت فى الحديث عن الماضى يا (جروشو) .

ثم أردف فى حزم :

— المهم الآن أن نحاول استنتاج ، أين ستكون جولة الشيطان الثانية ؟

* * *

جلس (أنتونى ماريللو) ، رئيس تحرير أكبر صحف (روما) ، يراجع بعض التحقيقات الهامة ، التى جمعها محرِّرو الصحيفة ، عندما طرقت سكرتيرته بابه ، ودلفت إلى مكتبه ، وهى تقول :

— هناك رجل يطلب مقابلتك يا سنيور (ماريللو) ، ويدعى أن لديه خبرًا كالقنبلة .

عقد (أنتونى) حاجبيه ، وغمغم فى دهشة :

— خبر كالقنبلة ؟!.. ما اسم هذا الرجل ؟

هزَّت كتفيها علامة النفى ، وقالت :

— يرفض الإفصاح عن اسمه يا سنيور ، ولكنه طويل القامة ، مفتول العضلات ، له شارب كثّ ، ويرتدى منظارًا طبيًّا .

بحث (أنتونى) فى ذاكرته عن رجل بهذه المواصفات ، ثم لم يلبث أن مطَّ شفتيه ، وقال فى ضجر :

— دعه يدخل خمس دقائق على الأكثر .

لم تكد السكرتيرة تغادر الحجرة ، حتى دخل الرجل إليها ، وابتسم ابتسامة بدت فى عينى (أنتونى) غامضة ، وهو يقول :

— مساء الخير ياسنيور (ماريللى) .

سأله (أنتونى) فى عجلة :

— ما الخبر الذى يشبه القنبلة ، والذى تحمله ياسنيور ؟

تحوّلت ابتسامة الرجل إلى السخرية ، وهو يقول فى هدوء :

— إنه لايشبه القنبلة ياسنيور (ماريللى) .. إنه قنبلة بالفعل .

لوّح (أنتونى) بكفّه فى ضجر ، وقال :

— حسنًا .. هاتِ مالديك .

تخيّل لـ (أنتونى) أن لهجة الرجل تحمل تهكّم الدنيا كلها ، وهو يقول :

— أنت تعلم بالطبع أن (المافيا) ، هى التى تنفق على صحيفتك هذه ياسنيور (ماريللو) .

عقد (أنتونى) حاجبيه فى غضب ، وأشار إلى الرجل بسبّابته صائحًا :

— اسمع أيها الرجل .. إن وقتى أثمن من أن ....

قاطعه الرجل فى صرامة :

— دعْنا نتعارف أولًا ياسنيور (ماريللى) .. أنا أدْعى (أدهم صبرى) .

فرّت الدماء بغتة من وجه (أنتونى) ، وهو يحدّق بذهول فى وجه الرجل ، الذى انتزع شاربه المستعار فى هدوء ، ورفع منظاره الطبّى ، فبدا شديد الوسامة والصرامة ..

وتراجع (أنتونى) ، وهو يغمغم فى ذهول :

— أنت ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يلقى نظرة على ساعته :

— لاتضيع الكثير من الوقت أيها الوغد .. فستنفجر القنبلة بعد عشرين ثانية فقط .

غمغم (أنتونى) ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

— القنبلة ؟!

أجاب (أدهم) فى تهكّم :

— نعم ياعزيزى (ماريللو) .. ألم أقل لك إننى أحمل قنبلة .

وفجأة .. ارتج المبنى كله بصوت قنبلة قوية ، وصاح (ماريللو) فى ذعر :

ــ ماذا فعلت ؟!.. ماذا فعلت بحق الشيطان ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ساخر :

ــ لا شىء أيها الوغد .. إنها قنبلة حارقة صغيرة ، وضعتها فى مخزن الورق الخاص بالصحيفة .

اتسعت عينا (أنتونى) ، وهو يهتف فى ذهول :

ــ مخزن الورق ؟!.. هناك ماقيمته ثلاثة ملايين من الدولارات على الأقل .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ أعلم ذلك أيها الوغد ، ولكننى أخشى أن يحاول رجالك استخدام أسطوانات الإطفاء هناك ، فقد عبأتها هذا الصباح بالبنزين .

شعر (أنتونى) بقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه ، فصرخ وهو يضغط كل أزرار الأمن أمامه :

ــ هذه جريمة .. جريمة نكراء .

قال (أدهم) فى لامبالاة :

ــ لا تضيع الوقت فى استدعاء رجال الأمن ، بل عليك

أن تطلب إخلاء المبنى بسرعة .. فهناك ثلاث قنابل أخرى ستنفجر بعد لحظات ، وستطيح به من أساسه .

تفجر الغضب هادرًا فى أعماق (أنتونى) فاختطف من درج مكتبه مسدسًا ، صوبه إلى (أدهم) وهو يصرخ :

ــ ستدفع حياتك ثمنًا لهذا .

وأطلق النار ، فى اللحظة نفسها ، التى اندفع فيها سبعة من رجال الأمن بالصحيفة ، داخل الحجــرة .. وأصابت الرصاصة هدفًا ..

* * *



١٠ — الانفجار ..

أصابت الرصاصة هدفًا حقًا ، ولكنه لم يكن (أدهم صبرى) ..

استقرت الرصاصة فى جسد واحد من رجال الأمن السبعة ، بعد أن غاص (أدهم) إلى أسفل فى سرعة مذهلة ، ثم عاد ينتصب ، راكلًا المسدس ، الذى يمسك به (أنتونى) ، ومطوّحًا به بعيدًا ..

ثم استدار إلى الرجال الستة ..

ولكنه لم يقاتلهم ..

كل ما فعله هو أن رفع يديه فى مواجهتهم ، وقال فى صرامة :

— لا تضيعوا الوقت ، سينفجر المبنى كله بعد خمس دقائق ، أنذروا الجميع ، وسارعوا بالفرار .

تلفّت الرجال بعضهم إلى بعض فى ذعر ، وترددوا لحظة ..

لم يستطع أحدهم الجزم بما إذا كان قول (أدهم) حقيقة ، أم أنه مجرّد خدعة ..

ولكنهم عرفوه ..

عرفوه بحكم كونهم من أعضاء (المافيا) ، وكانوا يعرفون ما يمكنه أن يفعل ..

واتخذ الرجال الستة قرارهم ..

قرار أملاه الخوف ، والفزع .. أملته غريزة البقاء ..

ولم يهاجم رجال (المافيا) (أدهم) ..

تولاهم ذعر شديد ، فاندفعوا إلى الخارج ، وهم يتصايحون بأن المبنى سينفجر .. وفجّرت صيحاتهم الرعب فى المبنى كله ، فاندفع العاملون فيه من كل صوب ، يحاول كل منهم الفرار بحياته ..

إلّا (أدهم) .. وإلّا (أنتونى) ..

أسرع (أنتونى) يلتقط مسدسه ، وعاد يصوّبه إلى (أدهم) ، وهو يصيح :

— أنا لا أصدقك .. أنت كاذب .. لا يمكنك أن تنسف المبنى ، دون أن تضرّ بالمبانى المجاورة له ، وأنت لن تسمح بإصابة أبرياء .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— عجبًا !!.. ألم تطّلع — بحكم عملك كصحفى — على أسلوب هدم الأبنية فى (أمريكا) ؟.. إنهم يضعون

مفجراتهم هناك فى أماكن مدروسة مسبقًا ، بحيث يسقط مبنى كامل ، دون أن تتناثر منه شظية واحدة إلى المبانى المجاورة .

شحب وجه (أنتونى) ، بعد أن هدمت كلمات (أدهم) نظريته ، وقال فى عصبيَّة :

ــ لست أصدّقك .. مازلت أصرّ أنك كاذب .

ألقى (أدهم) نظرة على ساعته ، فى برود شديد ، وقال :

ــ سرعان ما تتأكد من صدق حديثى أيها الوغد ، فلم يعُد أمامنا سوى ثلاث دقائق ونصف ، وينهار المبنى كله .

تصاعدت دقّات قلب (أنتونى) ، وغمغم فى شحوب :

ــ أنت كاذب ولا شك .. إننا فى الطابق العشرين ، آخر طوابق مبنى الصحيفة ، والهبوط إلى أسفل يستغرق أكثر من الوقت المتبقى ، وأنت لن تضحىَ بنفسك من أجل ....

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ــ من أجل ماذا ؟

ازداد شحوب وجه (أنتونى) ، ورفع عينيه فى ذُعر إلى ساعة الحائط ، التى تواجه مكتبه ، وشعر بنبضاته تتصاعد فى قوة ..

كان عقرب الثوانى ــ فى رأيه ــ يقافز فى جنون ، والوقت يمرّ فى سرعة خرافية ..

ثلاث دقائق بقيت على الانفجار .. دقيقتان ونصف .. دقيقتان .. و (أدهم) مازال يقف هادئًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ..

دقيقة ونصف فقط .. وصرخ (أنتونى) ، وقد أطار الفزع صوابه :

ــ أنت كاذب .. كاذب .. ستدفع حياتك ثمنًا لخدعتك .

وصوّب مسدسه إلى (أدهم) ، وأطلق النار فى جنون .

* * *

كان من العسير على رجل ــ أى رجل ــ أن يخطئ هدفه على بعد متر ونصف فقط ..

هذا إذا بقى الهدف فى مكانه ..

ولكن (أدهم) لم يكن كذلك .. لقد مال جانبًا ، متفاديًا الرصاصة ، ثم اندفع إلى الأمام ، وأطاح بمسدس (أنتونى) بضربة مُحْكمة ، ثم لكم هذا الأخير لكمة ألقته أرضًا ، والتقط المسدس ، ودسّه فى جيب سترته فى هدوء ..

مسح (أنتونى) خيط الدم ، الذى انسال من جانب شفتيه ، ونظر إلى ساعة الحائط ، وضحك فى جنون ، وهو يقول :

— لا بأس يا شيطان المخابرات المصرية .. سنتشارك فى ذلك المصير ، الذى أعددته للصحيفة .. لم يعد أمامك إلا أربعون ثانية فقط ، ولن تنجح فى مغادرة المبنى قبل الانفجار .. مهما بلغت سرعتك كبشر .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال فى هدوء :

— هل تظن ذلك ؟

ثم لوّح بذراعه ، مستطردًا فى برود :

— وداعًا أيها الوغد الغبىّ .. لقد أردت إنقاذ حياتك ، ولكنك أضعت الفرصة بغبائك .

صرخ (أنتونى) فى جنون :

— إنك لن تنجو .

لم يكد يتم عبارته ، حتى كان (أدهم) قد اختفى خارج الحجرة ، وتعلّقت عينا (أنتونى) الزائغتين بعقرب الثوانى ..

ثلاثون ثانية فقط ويحدث الانفجار ..

صاح وكأنه يخاطب نفسه :

— لن ينجو .. لا يمكنه أن يهبط عشرين طابقًا فى هذا الزمن القصير .. مهما بلغت قدراته ، التى يتغنون بها ..

عشرون ثانية .. عشر ثوان .. خمس .. ثلاث .. ثانيتان .. ثانية واحدة .. وصرخ (أنتونى) فى جنون هادر :

— لن ينجو ..

وانفجر المبنى .. وتهاوى فى مكانه ، دون أن يتبقّى منه سوى عاصفة من الغبار ..

وانتهت الجولة الثانية من القتال .. من الانتقام .

* * *



١١ ـ صيد الثعالب ..

« يا للشيطان !!.. ستنهار المنظمة كلها ، لو استمر الوضع عل ما هو عليه » ..

نطق (دون كارلو) بهذه العبارة ، وهو يلوّح بذراعيه ف الهواء غاضبًا ..

لم يكن غاضبًا فحسب ، وإنما كان متفجرًا بالغضب ..

أمّا (سونيا جراهام) ، فلم تكن قد تخلّت عن هدوئها بعد ، فغمغمت ف برود :

ـ رجالك لا يحسنون التصرّف يا (دون) .

صاح (دون كارلو) ف غضب :

ـ لا تلقي التبعة عل رجالي يا (سونيا) .. إن هذا الشيطان يتحرك بأسلوب لم نعهده من قبل .

رفعت حاجبها الأيسر ، وهي تغمغم ف شرود :

ـ إشعال النار ف مخازن الورق ، وتعبئة أسطوانات الإطفاء بالبنزين ، ونسف المبنى بهذه الطريقة الفنية .. لقد تفوّق (أدهم) عل نفسه حقًا هذه المرّة .

ثم أردفت ف انفعال :

ـ ولكن هذا يعود إلى خطإ رجالك يا (دون) .. فلو أن أحدهم أطلق النار عليه ف مكتب (أنتوني) ، بدلًا من الفرار كالخراف الضالّة .

قاطعها (جروشو) ف غضب :

ـ وماذا فعلت أنت حتى الآن يا (سونيا) ؟.. لقد أضعت فرصتنا فحسب .

لم تجب (سونيا) .. اكتفت بابتسامة ساخرة ، ف حين قال (دون كارلو) ف سخط :

ـ كفى يا (جروشو) .. لقد كبدنا (أدهم) هذا ما يزيد عل عشرين مليونًا من الدولارات عل الأقل ، وينبغي أن نجنّد قوانا كلها لمنعه من ربح المزيد .

أشعل واحدة من سجائره ف عصبيّة ، قبل أن يردف :

ـ لقد أمرت رجالنا بتشديد الحراسة عل كل المنشآت التابعة لنا ، وعدم السماح لأي كائن من كان بدخولها ، ما لم يحمل تصريحًا خاصًا منّي ، وإطلاق النار دون إنذار عل أي متسلّل .. أما أنت يا (جروشو) ، فستتولّى عملية تمشيط (روما) كلها ، وستحصل عل أي عدد تريد من الرجال .

سألته (سونيا) فى هدوء :
ـــ وماذا عنّى أنا يا (دون) ؟
قال (دون كارلو) فى عصبيّة :
ـــ ماذا تستطيعين أنت أن تفعلى يا (سونيا) ؟
تألّقت عينا (سونيا) ، وهى تقول فى هدوء مخيف :
ـــ الكثير يا (دون) .. ربما أكثر مما تستطيع (المافيا) كلها فعله .
هتف (جروشو) فى سخط :
ـــ يا لك من مغرورة !!
ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :
ـــ خذ ما يحلو لك من الرجال يا (جروشو) .. أما أنا ، فأطلب خمسة منهم فقط ، يأتمرون بأمرى وحدى ، وسترون ما تستطيع (سونيا جراهام) أن تفعله .
ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم (دون كارلو) فى تحدّ :
ـــ لكن يا (سونيا) .. هل لك مطلب آخر ؟
ازداد تألق عينيها ، وهى تقول :
ـــ نعم يا (دون) .. أريد رصاصتى الذهبية .
ابتسم (دون كارلو) فى سخرية ، وقال :

ـــ ليس بعد يا عزيزتى (سونيا) .. ستحصلين على الرصاصة فقط ، عندما أرى (أدهم) هنا .. فى قصرى .
ظهر الغضب على وجه (سونيا) لحظة ، ثم عادت ملامحها تلين ، وغمغمت فى لهجة غامضة :
ـــ ليكن يا (دون) .. سأنتظر .
* * *
ناول المفتش (ماسكورباتى) علبة من العصير المثلج إلى (أدهم) ، وهو يسأله فى مرح :
ـــ كيف يمكنك أن تفعل كل هذا يا صديقى ؟.. إنك تكاد تصيب رجال (المافيا) بالجنون .
سأله (أدهم) فى هدوء ، وهو يتناول علبة العصير :
ـــ أفعل ماذا أيها المفتش ؟
مال نحوه (ماسكورباتى) ، وسأله فى اهتمام :
ـــ إننى أعلم كيف دمّرت الكازينو .. ولقد عاونتك أنا فى الحصول على المتفجّرات ، وإبدال أسطوانات الإطفاء بتلك التى تحوى البنزين .. ولكننى ما زلت أتساءل : كيف أمكنك الفرار من الكازينو ، قبل أن تلتهمه النيران ، ومن الصحيفة قبل أن يتحوّل مبناها إلى مجرّد غبار ؟

ابتسم (أدهم) وهو يرتشف العصير المثلج ، وقال :

ـــ فى حادث الكازينو نسى هؤلاء الأوغاد فى غمرة فزعهم ، بدروم الكازينو ، الذى أسرعت أنا إليه ، وغادرت المكان من المخرج الخلفى .

ضحك (ماستوريانى) فى جذل ، وقال :

ـــ تتحدث كما لو كان الأمر بالغ البساطة .. يا لك من رجل !!

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

ـــ كيف غادرت مبنى الجريدة إذن ؟.. لقد أجمع شهود الحادث على أنك بقيت هناك حتى النهاية .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وأجاب فى بساطة :

ـــ كانت أمامى ثلاثون ثانية قبل الانفجار يا صديقى .. ولمَّا كان من المستحيل أن أهبط الطوابق العشرين فى هذا الوقت القصير .. فقد صعدت إلى السطح ، وقفزت إلى سطح المبنى المجاور و ....

قاطعه (ماستوريانى) فى ذهول :

ـــ قفزت إلى سطح المبنى المجاور ؟!.. هل تعنى أنك قفزت ستة أمتار فى الهواء ، على ارتفاع عشرين طابقًا ؟

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ حلاوة الروح يا صديقى .

ظل (ماستوريانى) يحدِّق فى وجه (أدهم) لحظة فى دهشة ، ثم انفجر ضاحكًا وهو يقول :

ـــ بل هى موهبتك وجسارتك يا صديقى .

ساد الصمت لحظة ، ثم هزَّ (ماستوريانى) رأسه ، وغمغم :

ـــ هل تعلم يا سنيور (أدهم) ؟.. منذ أسبوع واحد كنت أكره عملى ، وأشعر دومًا باليأس والإخفاق ، وأنا أتصوَّر أنه ما من وسيلة ، لمحاربة هؤلاء الأوغاد .. وحتى حينما طلبت أنت مساعدتى فى البداية ، كنت أتصوَّر أنك أحمق جديد ، سينضم اسمه إلى أسماء ضحايا (المافيا) .. أما الآن فأنا أشعر أنه قد أصبحت هناك قيمة لحياتى ، ولعملى ، وأصبح قلبى يمتلئ بالأمل .

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، واستطرد فى انفعال :

ـــ لقد حقَّقت ما كنا نظنه حلمًا بعيد المنال يا صديقى .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ـــ بفضل معاونتك أيها المفتش .

ابتسم (ماستوريانى) ، وهو يقول فى سعادة :

ـــ هذا يبعث فى نفسى الفخر يا سنيور (أدهم) .

ثم عاد يعقد حاجبيه ، ويسأل فى اهتمام :

— ولكن لماذا لا تضرب ضربتك الكبرى دفعة واحدة ؟.. أعنى لماذا لا تسعى إلى قصر (دون كارلو) مباشرة ؟

شرد (أدهم) بعينيه لحظة ، ثم ابتسم ، وأجاب :

— إننى أحاربهم بأسلوبهم أيها المفتش .. أسلوب (صيد الثعالب) .

ثم أردف فى حزم وصرامة :

— إننى لا أسعى للقضاء على زعيمهم فحسب ، فقد قضيت من قبل على ثلاثة زعماء ، ولم تسقط (المافيا) .. إننى أسعى لتحطيم المنظمة كلها .

غمغم (ماستوريانى) وهو يتأمله :

— بل تسعى للانتقام .

خفض (أدهم) عينيه ، وقال فى هدوء :

— هذا صحيح .

ثم تألقت عيناه وهو يردف :

— وسيكون انتقامًا رهيبًا .. على طريقة (صيد الثعالب) يا صديقى .

* * *

١٢ ـ عملية الفجر ..

تنهد أحد رجال (المافيا) ، الذين يقومون على حراسة مصنع الخمور ، التابع للمنظمة ، والتفت إلى زميل له فى موقع حراسته ، وغمغم فى ضيق :

— ألا يحنقك أن نقضى الليل كله فى حراسة المكان ، من أجل رجل واحد ؟

أومأ زميله برأسه موافقًا ، وغمغم :

— بلى .. ولكنك تدرك مدى خطورة هذا الرجل .

لوّح الأول بكفه فى ضجر ، وقال :

— إنه لن يجرؤ على الهجوم ، مع كل هذه الحراسة .. أعلم ذلك ، ولكن الليل قد ولّى ، وشارف الفجر ، وأصابنى الملل .

ثم أردف فى حنق :

— أراهنك أنه لن يهاجم ، فهو يبدأ هجومه دائمًا مع أول الليل ، وليس فى آخره .

كاد زميله يعقِّب على قوله ، لولا أن انبعث من خلفهما صوت ساخر ، يقول :

ـ خسرت أيها الوغد .

استدار الرجلان فى سرعة ، وارتفعت فوّهتا مدفعيهما الرشاشين إلى منتصف المسافة فقط ؛ لأنهما قبل أن يكملا طريقهما ، كانت قبضة (أدهم) اليمنى قد حطَّمت فك الرجل الأول ، فى الوقت نفسه ، الذى هشّمت فيه قبضته اليسرى أنف الثانى ..

سقط الرجلان فى سكون ، وانحنى (أدهم) فى خفَّة ، فالتقط أحد المدفعين الرشاشين ، وتحرَّك فى مرونة ، عَبْر الباب الذى كان يحرسه الرجلان ..

عَبَر (أدهم) ساحة المصنع فى سرعة ، واقترب من رجل وقف يدخن سيجارته ، وهو يحمل مدفعه الرشاش ، أمام باب معمل التقطير فى المصنع ، وقال فى إيطالية تشبه لكنة أحد الحارسين ، اللذين أفقدهما وعيهما فى الخارج :

ـ ألا أجد معك ثقابًا يا صديقى ؟

كانت لكنته خادعة ، حتى أن الرجل لم يشك لحظة ، بل أدار عينيه عن (أدهم) لحظة ، وهو يبحث فى سترته عن

الثقاب ، ولكنه لم يعثر عليه أبدًا .. ففى نفس اللحظة التى أدار فيها وجهه ، هبطت عليه لكمة (أدهم) كالصاعقة ، فترنَّح كالسكران ، واتسعت عيناه ذهولاً ، ثم سقط فاقد الوعى ..

أزاح (أدهم) الرجل بقدمه فى لامبالاة ، ودفع باب المعمل ، وتسلَّل إلى الداخل فى هدوء ..

وقف لحظة يتأمَّل الخزانات الضخمة ، المملوءة بالكحول ، ثم غمغم فى غضب :

ـ كم شخصًا كنتم تنوون يعهم هذه السُّموم يا أوغاد (المافيا) ؟

وفى هدوء .. أخرج من سترته قطعة من القماش ، أشعل فيها النار ، وألقاها أسفل الخزانات المملوءة .. ولم يكد يفعل حتى سمع صوتًا من خلفه ، يصيح فى ذهول :

ـ ماذا تفعل بحقّ الشيطان ؟

استدار (أدهم) فى سرعة مذهلة ، وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش على رجل (المافيا) ، الذى فاجأه .. ولم يكد صوت الرصاصات يدوِّى فى المكان ، حتى أعقبه صوت صفارة إنذار قوية ، وأصبح (أدهم) يعلم أن المعركة قد بدأت .

* * *



وقف لحظة يتأمل الخزانات الضخمة ، المملوءة بالكحول ..

لم تتوتر أعصاب (أدهم) لحظة واحدة ، مع دوِىّ الإنذار المزعج ، وإنما استدار فى هدوء يواجه الخزانات ، ورفع فُوّهة مدفعه الرشاش إليها ، وابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

ــ مع تحياتى يا أوغاد (المافيا) .

وانطلقت رصاصات مدفعه الرشاش تثقب الخزانات ، التى انهمر منها الكحول ، الذى لم يكد يمس القطعة المشتعلة ، التى كادت تخبو ، حتى استعر لهيبًا ، وتحوّل معمل الكحول إلى قطعة من الجحيم ..

ولكن وسائل الأمن كانت مُحكمة هذه المرّة ..

لم تكد النيران تستعر ، حتى تفجّرت صمامات الأمن من مواسير المياه ، التى تملأ سقف المعمل ، وانطلقت رشاشات من المياه تغمر الكحول المشتعل ، فعقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم فى ضيق :

ــ لقد بالغت فى ثقتك بنفسك هذه المرّة يا (أدهم) .

كان عليه أن يعدّل خطته فى سرعة ، فانطلق يعدو خارج المعمل ، وهو يصيح :

ــ أسرعوا يا رجال .. المعمل يحترق .. أسرعوا .

اختلط فى بساطة برجال (المافيا) ، الذين ملئوا المكان ،

ولم ينتبه أحدهم ، فى غمرة التوتّر والفزع ، إلى ملامحه .. فى حين انفلت هو من وسطهم ، واتجه فى خطوات واسعة إلى المصنع نفسه ، الذى أصبح خاليًا ، بعد أن هرع الجميع إلى المعمل ..

كان أول مافعله هو أن أغلق صمام المياه الرئيسى ، واستدار يتأمّل المصنع الضخم ، وغمغم فى هدوء :

ـ هذه المرّة لن يفشل (أدهم صبرى) ، يا أوغاد (المافيا) .

انطلقت رصاصات مدفعه الرشاش هذه المرّة نحو البراميل الخشبيّة الضخمة ، المملوءة بالخمور ، وبدا وكأنه يشاهد مسرحية هزلية ، وهو يتأمّل آلاف اللترات من الخمور ، التى تدفّقت فى المكان ، ودون أن يبالى بأصوات رجال (المافيا) ، الذين هرعوا إلى المصنع ، بعد سماعهم صوت رصاصاته ، أشعل عود ثقاب صغير ، وألقاه وسط الخمور المتدفّقة ..

واشتعلت النيران هذه المرّة أيضًا ، وتفجّرت صمامات الأمن ، ولكن نقطة واحدة من المياه لم تنهمر منها ..

وفى سرعة خارقة ، أسرع (أدهم) إلى باب المصنع ، وتوارى خلفه فى اللحظة نفسها ، التى اندفع فيها رجال

(المافيا) إلى المكان ، وعندما دارت عيونهم فى المكان بحثًا عنه ، اختلط هو بهم فى رشاقة ..

كان أسلوبه بسيطًا ، فعّالاً ، جريئًا ، يخدع أذكى الرجال ..

وفى خفّة مماثلة ، تسلّل بعيدًا عنهم ، وأسرع إلى واحدة من سيارات المصنع ، وقفز داخلها ، وأدار محرّكها فى سرعة ..

هنا فقط تنبّه إليه رجال (المافيا) ، ولكن بعد فوات الأوان ..

انطلقت رصاصات مدافعهم الرشاشة خلف السيارة ، التى انطلق بها (أدهم) فى مهارة ، مقتحمًا بوابة المصنع ، وابتعد بها فى سرعة خارقة ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية ، أضفت صورة عجيبة ، حينما امتزجت بأضواء الفجر الأولى ..

كانت ضحكة رجل ظافر ..

* * *

تسلّل (أدهم) فى هدوء إلى منزل المفتش (ماستوريانى) ، وأغلق الباب خلفه فى خفوت ، ثم أضاء البهو ، والتفت إلى الثلاجة الصغيرة .. ولكنه لم يكد يفعل حتى تسمّر فى مكانه ، وندّت من بين شفتيه آهة دهشة ..

كان (ماسوروبانى) متهالكا فوق الأريكة الصغيرة فى البهو ، محطم الأنف ، ممزّق الشفة ، متورّم العينين .. وكان هناك خيط من الدم ينسال من جرح فى رأسه ، ليلوّث وجهه ، وقميصه .. فعقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى غضب :

— من فعل بك هذا ؟

رفع (ماسوروبانى) عينيه المتورّمتين إلى (أدهم) ، وغمغم فى ضعف :

— إننى لم أتفوّه بكلمة واحدة يا صديقى .

هتف (أدهم) ، وقد تضاعف غضبه :

— من فعل بك هذا بحقّ السماء ؟

جاءت الإجابة من خلف (أدهم) ، فى صوت رقيق ، هادئ ، ساخر ، تقول :

— أنا يا سيّد (أدهم) .

استدار (أدهم) فى حدّة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على (سونيا جراهام) ، التى تبتسم فى سخرية ، وحولها خمسة من العمالقة ، وسمعها تردف فى ظفر :

— أنا التى أنجح دائمًا ، حيث يفشل الآخرون أيها الشيطان المصرى .

* * *

١٣ — الأفعى ..

لأول مرّة فى حياته ، لم يبتسم (أدهم صبرى) ساخرًا ، فى مواجهة (سونيا جراهام) ..

كان هذه المرّة غاضبًا ..

صحيح أنه نجح فى السيطرة على غضبه ، بحيث لم تشفّ عنه ملامحه ، ولكنه عجز عن الابتسام ، وهو يقول :

— كيف وصلت إلى هنا يا (سونيا) ؟

ابتسمت (سونيا) فى فخر ، وقالت وهى تشعل سيجارتها :

— كنت أعلم منذ البداية أن هناك من يعاونك ، ومن يمدّك بالمعلومات ، والأدوات التى تحتاج إليها ، وأعلم فى الوقت نفسه أن رفاقك قد رحلوا ، وأن أساليب المخابرات فى كل الدول ، لا تميل إلى إهدار الأفراد والوقت والمال ، فى محاربة منظمة مثل (المافيا) .. كان من الواضح إذن أنك تعمل بوحى من رغبتك الشخصية فى الانتقام فحسب ، فمن يعاونك إذن ؟

نفثت دخان سيجارتها فى تلذُّذ ، وعادت تقول :

ــ بعد دراسة كل ما فعلت ، أصبحت على يقين من أن معاونك هو أحد رجال الشرطة الإيطاليين .. ولم أكد أضع هذا الافتراض، حتى قفزت إلى ذهنى صورة المفتش (ماستوريانى) ، وهو يسأل فى لهفة شديدة ، عما أصاب الشخص الذى دمَّر الكازينو .. تذكَّرت لحظتها أن لهفته كانت تفوق لهفة رجل شرطة عادى .

وابتسمت فى مزيج من الفخر والشماتة ، وهى تردف :

ــ كانت لهفة صديق ، يخشى أن يصاب صديقه بسوء .

عادت تنفث دخان سيجارتها ، قبل أن تستطرد :

ــ لم يكن من العسير بعد ذلك العثور على عنوان (ماستوريانى) .. ولم يستغرق الأمر طويلاً ، قبل أن نعثر على الثياب التى كنت ترتديها فى الكازينو ، محترقة الأطراف .

قاطعها (ماستوريانى) ، وهو يغمغم فى ألم :

ــ إننى لم أتفوَّه بحرف واحد يا صديقى .

فجرَّت هذه العبارة كل براكين الغضب فى نفس (أدهم) ، والتهبت عروقه بحممها ، وانقضَّ (رجل المستحيل) بغتة ..

كان انقضاضه مفاجئًا ، عنيفًا ، وقبل أن يدرك أحد العمالقة الخمسة ما حدث ، هوت راحة (أدهم) على وجه (سونيا) بصفعة قوية ، جعلتها تطلق صرخة عالية ، قبل أن تسقط فى جانب البهو .. وتحرَّكت قدم (أدهم) لتركل مسدَّس الرجل الأول ، وقفزت قبضته اليسرى تهشِّم أنف الثانى ، ثم اندفعت قبضته اليمنى تحطِّم عنق الثالث ، فى توافق مع قدمه اليسرى ، التى غاصت فى بطن الرابع ..

كان (أدهم) فى هذه المرَّة رهيبًا ..

كان كالصاعقة ..

وتناثر العمالقة الخمسة عن يمينه ويساره ..

حوَّله غضبه إلى مارد ، وحوَّلهم إلى أقزام ..

صرخت (سونيا) فى قهر ، وهى تلمح بسقوط آخر الرجال الخمسة ، وقفزت تلتقط أحد المسدَّسات ، ورفعته إلى (أدهم) ، وهى تصرخ فى غيظ :

ــ لن تفلت بعد كل هذا يا (أدهم) .

كان (أدهم) فى مرمى الرصاص و (سونيا) رامية بارعة ، لا يشق لها غبار ..

وانطلقت رصاصتها نحو صدر (أدهم) ..

نحو قلبه تمامًا ..

وفجأة .. استيقظت مشاعر (ماسوريانى) ..

رأى الرجل الذى عقد عليه آماله كلها فى مرمى نيران (سونيا) ..

الرجل الذى جعل لحياته هدفًا ، أصبح هو هدفًا لرصاصة غادرة ..

وقفز (ماسوريانى) من مكانه ..

قفز فجأة يحول بين الرصاصة وبين (أدهم) ، وهو يصيح :

ـ احترس يا صديقى .

وأصابته الرصاصة ..

رأى (أدهم) الدماء تنبثق من موضع القلب فى جسد المفتش ، فتضاعف غضبه ، وصرخ فى صوت هادر :

ـ أيتها الأفعى الحقيرة

وبقفزة ماهرة ، وصل (أدهم) إلى (سونيا) ، وركل المسدس فى قوة ، ثم حمل (سونيا) بين ذراعيه ، كما يحمل رجل ناضج طفلة رضيعة ، وهوى على وجهها بثلاث صفعات متتالية ، أفقدتها الوعى ..

أسرع (أدهم) إلى المفتش (ماسوريانى) ، بعد أن فقدت (سونيا) وعيها ، وانحنى نحوه يحاول إسعافه ، ولكن (ماسوريانى) ابتسم فى ضعف ، وغمغم :

ـ لاتحاول يا صديقى .. هذه اللعينة تحسن إصابة الهدف .

هتف (أدهم) فى جزع :

ـ سأطلب سيارة إسعاف ، لابدّ أن ....

قاطعه (ماسوريانى) ، وهو يتشبّث بذراعه :

ـ لاتضع الوقت يا صديقى .. لقد دوّى صوت الرصاصة فى سكون الليل ، ولن يلبث المكان أن يمتلئ بالناس ، والله وحده يعلم هويّتهم .

شعر (أدهم) بحزن هائل يعتصر قلبه ، وهو يستمع إلى (ماسوريانى) ، الذى أردف فى ضعف :

ـ لاتحزن يا صديقى .. إننى أشعر بالفخر ، لأن حياتى القصيرة حقّقت هدفًا .. لاتتوقّف يا صديقى .. امض فى طريقك .. كبّد هؤلاء الأوغاد أقصى ماتستطيع من خسائر .. دع روحى تشعر بالراحة يا ....

احتبست الكلمات فى حلقه ، وشحب وجهه بغتة ، ثم تراخت أطرافه ، وفاضت روحه وهو يبتسم ..

مدّ (أدهم) أنامله فى حزن ، وأسبل عينى (ماسوريانى)، وأطرق برأسه فى أسى ، ودون أن يبالى بالضجّة ، التى تصاعدت أمام الباب ، حمل جثة صديقه الإيطالى ، وأرقد جسده فى هدوء فوق فراشه ، واعتدل قائلًا فى صرامة :

— فلتطمئن روحك يا صديقى .. أنت وكل الشُّرفاء ، إننى لن أتوقّف قبل أن تدفع (المافيا) الثمن .. اطمئن .

* * *



١٤ ـ القصر ..

اتسعت عينا (دون كارلو) ، وسقط فوق مقعده ، وهو يغمغم فى ذهول :

— هرب ؟!.. أتعنين أنك توصّلت حقًّا إلى مكمنه ، ثم سمحت له بالهروب ؟

لوّحت (سونيا) بكفّها فى غضب ، وقالت :

— نعم يا (دون) .. هرب .. هرب ؛ لأنه قضى على عمالقتك الخمسة ، كما لو كانوا خمس دمى من الورق .. ولولا أن استعدت وعيى ، ونجحت فى الفرار فى الوقت المناسب ، لألقت الشرطة القبض علىّ بتهمة قتل المفتش .

صاح (دون كارلو) فى غضب :

— لقد ألقت الشرطة القبض على خمسة من أفضل رجالى للسبب نفسه يا (سونيا) .

هتفت (سونيا) فى سخط :

— أفضل رجالك ؟!.. أنتم منظمة من الهواء إذن .

قاطع (جروشو) حديثهما الصارخ ، قائلاً :

ـــ مهلاً .. إننا لن نصل إلى هذا الشيطان بتبادل الصراخ .

صاح به (دون كارلو) :

ـــ ماذا تقترح إذن أيها العبقرى ؟

زفر (جروشو) فى ضيق ، وقال :

ـــ لقد فقد الشيطان المصرى مأواه بمصرع المفتش ، وسيصبح من العسير عليه أن يعثر على مأوى آخر .. وإذا أردنا الإيقاع به ، فلا بدّ أن نسارع بالبحث عنه ، قبل أن ينظّم شئونه .

ساد الصمت لحظة ، ثم عقد (دون كارلو) حاجبيه ، وغمغم فى صرامة :

ـــ حسنًا يا (جروشو) ، سأكلّفك هذه المهمّة .. خذ كل من تريد من الرجال ، ولكنك ستتحمّل مسئولية الفشل هذه المرّة .

شحب وجه (جروشو) ، وغمغم :

ـــ فليكن يا (دون) .

ثم أسرع يغادر القصر ، وهو يلعن اللحظة ، التى نطق فيها باقتراحه ..

لم يكد يغادر القصر ، حتى التفتت (سونيا) إلى (دون كارلو) ، وقالت فى دلال :

ـــ ألن تعيد إلىّ رصاصتى الذهبية يا (دون) ؟

أجابها فى صرامة :

ـــ نعم .. لن أعيدها .

احتقن وجهها غضبًا ، وصاحت فى وجهه :

ـــ من تظن نفسك ؟.. وبأى حقّ تستولى على شىء يخصّنى ؟.. إننى أريد رصاصتى الذهبية حالاً .

ابتسم فى هدوء وسخرية ، وقال وهو يصبّ لنفسه كأسًا من الخمر :

ـــ ليس قبل أن أرى (أدهم صبرى) هنا فى قصرى .

تجمّدت أصابعه حول كأس الخمر ، وهبط قلبه بين قدميه ، حينما سمع صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ أعطها إياها إذن أيها الوغد ، فها أنذا .

* * *

استغرق الأمر لحظة ، قبل أن يلتفت (دون كارلو) كرجل محطّم ، ويتطلّع فى ذهول إلى (أدهم صبرى) ، الذى يصوّب نحوه ، ونحو (سونيا) فوّهة مدفع رشاش ، فى هدوء يثير الرجفة ، وهتفت (سونيا) :

— كيف وصلت إلى هنا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وأجاب فى سخرية :

— معذرة يا عزيزتى (سونيا) .. فأنا لا أميل إلى كشف أوراق .

صاح (دون كارلو) فى صوت مختنق أجش :

— ماذا تريد ؟!

أجابه (أدهم) فى برود :

— قصرك يا زعيم الأوباش .

تراجع (دون كارلو) فى ذعر ، وانهارت غطرسته دفعة واحدة ، وهو يقول فى ضراعة :

— اسمع يا سنيور (أدهم) .. هذا القصر يضم تحفًا نادرة ، يصعب تعويضها .. تلفّت حولك ، وسترى لوحات لـ (بيكاسو) وسيزان ، و (مايكل أنجلو) ، وتماثيل نحتها (أنجلو) بيديه و ....

قاطعه (أدهم) فى برود :

— هذا لا يعنينى أيها الوغد .

هتف (دون كارلو) :

— سأمنحك مليون دولار عدًا ونقدًا ، الآن ، فى مقابل .

قاطعته (سونيا) هذه المرّة ، وهى تهتف فى غضب :

— غبىّ .. إنه لا يبالى بنقودك .

شحب وجه (دون كارلو) ، وهو ينقّل بصره بينها وبين (أدهم) ، فى حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال لـ (سونيا) :

— أصبت هذه المرّة أيها الأفعى .. القصر وحده يعنينى .

صاحت (سونيا) فى غضب :

— وهل تظن أنك ستدمّره ببساطة كسابقيه ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

— هل يمكنك منعى يا (سونيا) ؟

قالت فى تحدّ :

— نعم .. سأصرخ مناديةً رجال (دون) ، و ....

بترت عبارتها ، عندما قال (أدهم) فى هدوء :

— فات الوقت يا (سونيا) .. سيبدأ الدمار الآن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتج القصر بدوىّ انفجار هائل ، وصرخ (دون كارلو) فى ذعر :

— يا للشيطان !! ماذا فعلت ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وأجاب :

— إنها مجرد بداية أيها الوغد .. إنها واحدة من عشر قنابل ، زرعتها فى أماكن مختلفة من قصرك ، تحت سمع رجالك الأغبياء وأبصارهم ، بمجرد أننى ارتديت زيًا مشابهًا لهم ، وحملت مدفعًا رشاشًا من الطراز نفسه .

كاد (دون كارلو) يسقط فى مكانه ، وهو يغمغم فى شحوب :

— هل تعنى أن القصر سينفجر كله ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— ألم تفهم ذلك بعد ؟

تطلّع إليه (دون كارلو) فى ذهول ، ثم احتقن وجهه ، وأطلّ الجنون من عينيه وهو يهتف :

— كلا .. إنك لن تفعل .. لن تفعل .

وقفز فجأة نحو (أدهم) ، والتحم معه فى قتال جنونىّ .

* * *

١٥ — عيون الموت ..

دوّى الانفجار الثانى فى اللحظة نفسها ، التى هاجم فيها (دون كارلو) (أدهم) .. وتصوّر (أدهم) لحظتها أن أول ما ستفعله (سونيا) هو أن تهرع للاستنجاد برجال (دون كارلو) ، ولكن من العجيب أنها لم تفعل ..

جلست فى هدوء ، تنفث دُخان سيجارتها ، وتراقب الأمر فى تلذُّذ ، كما لو أنها تشاهد فيلمًا مرحًا ، على الرغم من أن الأمر لم يستغرق الكثير .. فلم يكد (دون كارلو) يكرّ على (أدهم) حتى استقبله هذا الأخير بلكمة فى معدته ، جعلته ينثنى ألمًا .. ولم يكد يفعل حتى ارتفعت قبضة (أدهم) نفسها ، وهوت على فكّه ، فألقته فى منتصف البهو ، وضاع صوت (سونيا) مع دوىّ الانفجار الثالث ، وهى تقول فى هدوء :

— رائع .

تطلّع إليها (أدهم) فى خبرة ، ثم لوّح بكفّه ، وقال :

— إلى لقاء آخر يا أفعى (الموساد) .

وقفز من نافذة القصر ، ولم يلبث أن اختفى عن الأنظار ، فصاح (دون كارلو) :

— أنذرى الرجال يا (سونيا) ، لابدّ أن نلحق به قبل أن ....

قاطعته (سونيا) فى تأفف :

— ومن منهم سيتبع أوامرك ، وسط كل هذه الانفجارات أيها الغبىّ ؟

حدّق (دون كارلو) فى وجهها بدهشة ، وصاح :

— أنذرى الرجال يا (سونيا) .

نفثت (سونيا) دُخان سيجارتها فى هدوء ، ثم مدّت كفّها إليه ، قائلة :

— رصاصتى الذهبية يا (دون) .

صاح فى غضب :

— أى قول أحمق هذا ، فى مثل هذه الظروف ؟

لم تلتفت لثورة غضبه ، وإنما قالت فى برود :

— هأنذا قد رأيت (أدهم) فى قصرك .. أعطنى رصاصتى إذن .

صرخ (دون كارلو) فى مزيج من الغضب والدهشة :

— أأصابك الجنون أم .....؟

بتر عبارته بغتة ، حينما شهرت (سونيا) مسدسها فى وجهه ، وغمغم فى ذهول :

— (سونيا) !!.. ماذا تفعلين ؟

تألقت عيناها ببريق وحشىّ ، وهى تقول :

— لقد أهنتنى كثيرًا يا (دون) ، وها هى ذى فرصة مثالية تسنح لى ، لقتلك دون أن أتحمّل تبعة ذلك أمام رجالك .

غاضت الدماء من وجه (دون كارلو) ، وهتف فى فزع :

— ماذا تقولين يا (سونيا) ؟

ثم التقط رصاصتها الذهبية من جيب صديريته ، واستطرد فى صوت مرتجف :

— هاك الرصاصة يا (سونيا) .. خذيها .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

— على جثتك يا (دون) .

تطلّع (دون كارلو) إلى عينيها فى ذعر ، وارتجف جسده وهو يرى الموت المطل من العينين الجميلتين ، وفى هدوء مذهل صوّبت (سونيا) مسدسها إلى رأسه ، وأطلقت النار .

* * *

١٦ — ختام الجزء الأول ..

اصطفت أعداد غفيرة من رجال (المافيا) ، لحضور مراسم دفن جثة (دون كارلو) ، وبدا الجوّ فى ذلك اليوم مكفهرًا ، وبدت السماء ملبّدة بالغيوم .. وأمام القبر تمامًا وقف (جروشو مانيانى) فى احترام ، وإلى جواره (سونيا جراهام) ، فى ثوب أسود زاد من تألّق جمالها الساحر ..

وبينما كانت جثة (دون كارلو) توارى التراب ، غمغم (جروشو) :

— لقد تمادى (أدهم) هذا كثيرًا يا (سونيا) .

غمغمت ، وهى تكتم ضحكة ساخرة فى أعماقها :

— سنتعاون لإيقافه عند حدّه يا (جروشو) .

لم يتبادلا كلمة أخرى ، حتى انتهت مراسم الدفن ، وقاد (جروشو) (سونيا) إلى سيارته .. وبينما كان سائقه الخاص يبتعد بالسيارة عن المقابر ، غمغم (جروشو) فى خبث :

— لو أردت رأيى الخاص ، فأنا لا أعتقد أن (أدهم صبرى) هو الذى فعل ذلك .

تظاهرت (سونيا) بالغضب ، وهى تقول :

— من فجّر القصر إذن ؟

ابتسم (جروشو) فى دهاء ، وقال :

— لست أعنى تحطيم القصر ، وإنما أعنى مصرع (دون) .

استدارت تتأمّله لحظة ، ثم قالت فى دهاء مماثل :

— لماذا ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

— لم يكن (دون) يحمل سلاحًا ، وليس من عادة ذلك الشيطان المصرى قتل العُزّل .

ابتسمت فى خبث ، وقالت :

— من تظنه قتل (دون) إذن ؟

أجابها فى هدوء :

— شخص يريد الحصول على شىء ما ، يرفض (دون) منحه إيّاه .

قالت فى برود :

— كرصاصة ذهبية مثلًا ؟

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

ـ مثلا .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم غمغمت (سونيا) :

ـ لقد كان (دون) كالبرميل الأجوف ، يكثر ضجيجه ، ويقل فعله .

ابتسم (جروشو) فى خبث ، وقال :

ـ كان هذا رأيى أيضًا .. إنه لم يكن يصلح للزعامة .

أودعت (سونيا) شفتيها أكثر ابتساماتها جاذبية ، وقالت :

ـ هناك ربح إذن من حربنا مع (أدهم صبرى) .

غمغم (جروشو) ، وهو يبتسم فى ارتياح :

ـ هذا هو الربح الوحيد .

ثم أردف فى صرامة :

ـ ولكنه لم ينتصر بعد ، وسأذيقه أنا أمرّ هزيمة فى حياته .

أسرعت (سونيا) تقول :

ـ سنذيقه معًا .. أليس هذا ما تقصد يا .. يا (دون جروشو) ؟

انتفخت أوداج (جروشو) ، وغمغم فى فخر :

ـ نعم يا عزيزتى (سونيا) .. (دون جروشو) .. هذا الاسم الجديد يرُوق لى .

وواصلت السيارة طريقها .. ومازالت المعركة مستمرة .

* * *

[تم الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى]

رقم الإيداع : ٣٦١٩